

فصل المقال في :

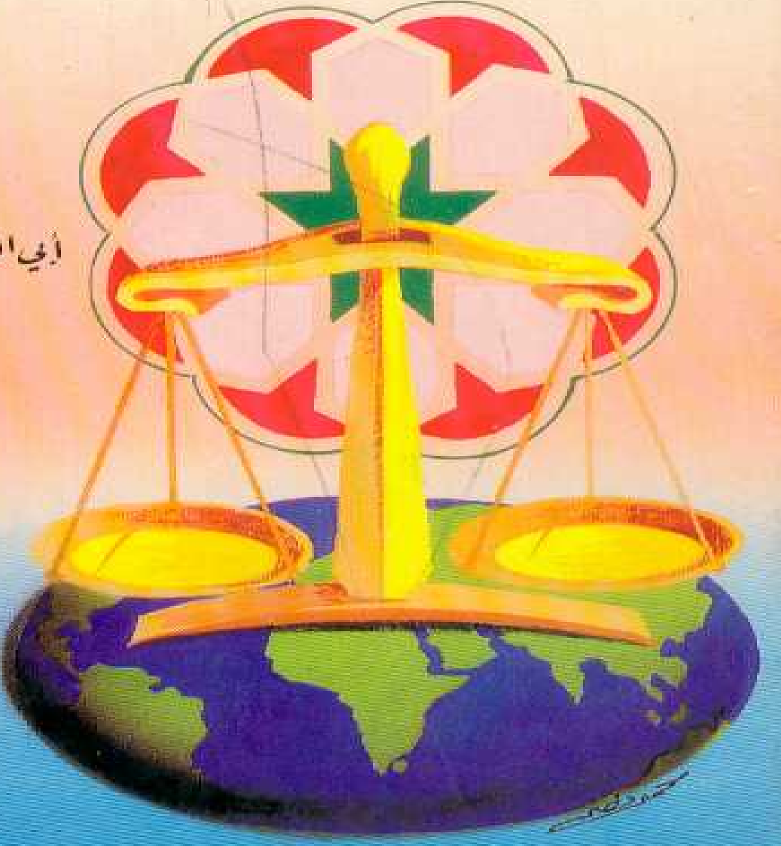
نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال

تأليف الدكتور

محمد خليل هراس

تحقيق وتعليق

أبي الفداء السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم الأثري



مكتبة السنة

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

أما بعد: فإن من المعلوم والثابت لدى المؤمن الحقّ: أن أمور العقيدة الإسلامية لا طريق إلى معرفتها إلا من خلال الكتاب والسنة؛ فلا ينبغي أن نجعل العقل مصدراً نستقي منه العقيدة! لأن العقل له حدود لا يتخطاها، ومتى تجاوزها سبح في الخيال والوهم الكاذب، ولا يصلح الوهم ولا الخيال أساساً لمعرفة العقيدة.

إن جنوح العقل عن المهمة التى حُدِّدت له يعني شرود العبد عن الصراط المستقيم ... يعنى أن العقل هو الحاكم على النصوص الشرعية كتاباً وسنة ... وبالتالي يعني الإطاحة بالنصوص الشرعية! إن ظهور الفلسفات الاعتزالية واليونانية ما هي إلا أثر من آثار الاعتماد على العقل، وإدخاله في مجال العقيدة ليحكم على النصوص بالقبول والرفض. ولقد نبتت نابتة من معتزلة العصر الحديث نحت منحى المعتزلة في طرح ما صح عن رسول الله ﷺ بدعوى أن الحديث يخالف العقل، وسرعان ما ردوا عدداً كبيراً من الأحاديث، والأحاديث التي لم يردوها ادّعى بعضهم أنها أحاديث آحاد، ولا يؤخذ بها في مجال العقيدة، ومع أن هذا التقسيم الحادث، أعني: قولهم: (يؤخذ بحديث

الآحاد في الأحكام والعبادات، ولا يؤخذ به في العقائد) .. أقول: هذا التفريق لا دليل عليه، وقد ردّ العلماء قديماً على من قال به، إلا أن هذه الدعوى التي ادعاها بعضهم ليتخذها شعاراً في الحقيقة لردّ النصوص، وعند التحقيق نجد أن اعتمادهم على العقل وترك النقل هو الذي أوصلهم لهذه الدرجة.

ومن الثابت أن المؤمن الحق لا يسعه إلا التسليم لله ولرسوله ﷺ، والرضا والانقياد لأمر الله ورسوله: ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٥١]، ومن أمور العقيدة: الإيمان باليوم الآخر ومقدماته - أعني بها: أشراط الساعة -، ومنها: نزول المسيح عيسى عليه السلام، وقد ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ، وقد ثبت أيضاً في السنة نزول هذا النبي الكريم ليحكم بين الناس بشريعة الإسلام، ولينشر العدل على هذه البسيطة، ينزل ليدحر الكافرين الذين يزعمون أنه إله من دون الله، وقد حماه الله تعالى منهم فرفعه حيًا إلى السماء، ثم سينزل كما أخبر رسول الله - ﴿ **وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** ﴾ - ومع ورود النصوص الصريحة في رفعه حيًا وفي نزوله وفي قتله عليه الصلاة والسلام الدجال - مسيح الضلالة -، أقول: مع ورود كل هذا إلا أن الطائفة المشار إليها أنكرت هذا الرفع والنزول وظهور الدجال!! وقد أحسن المؤلف صنعاً بالرد على من قال بهذا القول - أعني رد ما صح عن رسول الله ﷺ في ذلك -.

وتجد ذلك في هذه الرسالة الصغيرة الحجم، لكنها بحق جمعت الأدلة و ردّت على الخصوم، فرحم الله مؤلفها وجزاه عن الإسلام خيراً.

عملنا في الرسالة :

(١) خرّجنا الآيات القرآنية.

(٢) خرّجنا الأحاديث الواردة في الرسالة وعزوناها إلى مخرجيها ونقلنا حكم أهل

الحديث عليها من صحة وضعف .

(٣) علقنا على بعض المواضع التي تستحق التعليق، وذلك لإيضاح مُشْكَل أو تبيين مبهم أو تفصيل مجمل.

(٤) ترجمنا بعض من ورد اسمه في الرسالة، ولم نستوفِ التراجم كلها لأن منها أسماء مشهورة لا تحتاج إلى ترجمة .

(٥) أشرنا لتعليقات الشيخ هراس رحمه الله بحرف « خ » تمييزاً عن تعليقاتنا.

وأخيراً أدعو الله تبارك وتعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

كتب

السيد بن عبد المقصود

غفر الله له

الإسماعيلية ١٨ رجب ١٤٠٨

المقدمــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أتخلص بها من عذاب يوم الدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولا يغني مولًى عن مولًى شيئاً ولا هم ينصرون، يوم يعض الظالم على يديه ويقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً، يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذى بلّغ البلاغ المبين، وبيّن للناس ما نزل إليهم، ولعلهم يتفكرون، وترك أمته على بيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك مفتون، صلّى الله وسلّم وبارَك عليه وآله وصحبه الهادين المهديين .

أما بعد :

فمنذ مطلع هذا القرن – أو قبله – وُجدت جماعة تدعو إلى التحرر الفكري، وتتصدر حركة الإصلاح الديني، وتعمل لإحياء المفاهيم الدينية الصحيحة في نفوس المسلمين، ولكنهم في سبيل ذلك عمدوا إلى إنكار كثير من المغيّبات التي وردت بها النصوص الصريحة المتواترة من الكتاب والسنة؛ الأمر الذى يجعل ثبوتها قطعيًا ومعلوماً من الدين بالضرورة، ولا سند لهم في هذا الإنكار إلا الجموح الفكري؛ والغرور العقلي، وقد راجت بتأثيرهم تلك النزعة الفلسفيَة الاعتزالية التي تقوم على تحكيم العقل في أخبار الكتاب والسنة، وعمت فتنتها حتى تأثر بها بعض الأغرار ممن تستهويهم زخارف القول، وتغرهم لَوَامعُ الأسماء والألقاب، لهذا رأيت أن من واجب البيان الذي أتخلص به من إثم الكتمان أن أضع الحق في نصابه، فأبين لهؤلاء الشاردين عن منهج الرشد أن

تلك الأمور التي يمارون فيها ثابتة ثبوتاً قطعيًا بأدلة لا تقبل الجدل ولا المكابرة، وأن من يحاول ردها أو يسوّغ الطعن فيها فهو مخاطر بدينه، وهو في الوقت نفسه قد فتح باباً للطعن فيما هو أقل منها ثبوتاً من قضايا الدين الأخرى، وبذلك نكون أمام موجة من الإنكار لا أول لها ولا آخر، وتصبح قضايا العقيدة كلها عرضة لتلاعب الأهواء وتنازع الآراء.

وسأحاول – إن شاء الله – في هذه الرسالة الصغيرة أن أسوق الدلائل من الكتاب، والسنة، والآثار السلفية، على رفع عيسى عليه الصلاة والسلام حيًا، وعلى نزوله إلى الأرض قرب قيام الساعة، وقتله مسيح الضلالة الدجال، لتكون تبصرة لإخواننا، ومعذرة إلى الله عز وجل: ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾.

أسأل الله عز وجل أن ينفع بها حزب الحق والإيمان، وأن يقمع بها أهل الزيغ والكفران، إنه كريم منان.

محمد خليل هراس

غرة ربيع الأول سنة ١٣٨٩هـ

١٧ مايو سنة ١٩٦٩م

الآيات في رفع عيسى حيا

الآية الأولى

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ما ملخصه [١]: اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾، فقال قتادة وغيره: هذا من المقدّم والمؤخّر، تقديره: إني رافعك إليّ ومتوفيك، يعني: بعد ذلك.

وقال عليّ بن أبي طلحة: عن ابن عباس: إني متوفيك: أي مميتك.

وقال محمد بن إسحاق [٢] عمن لا يتهم عن وهب بن منبه، قال: توفاه الله ثلاث ساعات من أول النهار حين رفعه إليه.

قال ابن إسحاق: والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه. قال إسحاق ابن بشر: عن إدريس، عن وهب: أماته الله ثلاثة أيام، ثم بعثه، ثم رفعه.

قال مطر الورّاق: إني متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت، وكذا قال ابن جرير: توفّيه هو رفعُهُ.

وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هنا النوم [٣]، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤٦٦/١).

(٢) وقد ضعّف هذا الأثر الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣٤٥/١)، وسيأتي تضعيف الأثر بعد قليل، وسبب ضعفه جهالة مَنْ روى عنه ابن إسحاق.

(٣) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير (٣٤٤/١): إنما احتاج المفسرون إلى تأويل الوفاة بما ذكر لأن الصحيح أن الله رفعه إلى السماء من غير وفاة كما رجّحه كثير من المفسرين واختاره ابن جرير الطبري، ووجه ذلك أنه قد صح في الأخبار عن النبي ﷺ نزوله وقتله الدجال.

بالليل ﴾ [الأنعام: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢].

وكان [١] رسول الله ﷺ إذا قام من النوم قال: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا) -الحديث-.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، حدثنا الربيع بن أنس، عن الحسن أنه قال في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ يعني وفاة المنام، رفعه الله في منامه.

قال الحسن [٢]: قال رسول الله ﷺ لليهود: (إن عيسى لم يمت، وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة).

وقوله تعالى: ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: ٥٥]: أي برفعي إياك إلى السماء. ا.هـ.

وهكذا سرد لنا ابن كثير جملة من التفاسير للآية، ثم اختار رأي الجمهور في تفسير التوفّي بالإنامة، واستشهد له بآيتين من القرآن ورد فيهما التوفي بمعنى النوم، كما استشهد لذلك بالحديث الذي يسمّي النوم إماتة واليقظة إحياء، وأيده كذلك بقوله تعالى من سورة النساء: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾، قال: والضمير في قوله: ﴿ قبل موته ﴾ عائد على عيسى عليه السلام، أي: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة - على ما سيأتي بيانه -، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلهم، لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

ثم روى ابن كثير عن ابن أبي حاتم نسبة هذا الرأي إلى الحسن، وأن الحسن روى فيه حديثاً مرفوعاً [٣].

---

(١) جزء من حديث حذيفة رضي الله عنه: رواه البخاري كتاب الدعوات: باب ما يقول إذا أصبح ح (٦٣١٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٦٤٧، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٨٥)، ورواه البخاري أيضاً في نفس المكان عن أبي ذر مرفوعاً، وكذا رواه ابن السني.

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما نقله ابن كثير في التفسير (١/٣٦٦)، والحديث مرسل.

(٣) تقدم تخريجه وأنه مرسل.

ونحن نرى مع ابن كثير أن هذا الرأي هو الذي يجب المصير إليه في فهم الآية؛ لأنه هو الذي يتسق مع ما أمر به القرآن من رد المتشابه إلى المحكم ليفهم معناه، ولفظ التوفّي هنا متشابه، لأنه يحتمل التوفي بالموت، والتوفي بالنوم، والتوفي بمعنى القبض والاستيفاء– إلخ –، ولكن لفظ الرفع إلي الله محكم وصريح في معناه، وتأويله برفع الروح أو رفع المكانة إلحاد في الآية وتحريف للكلم عن مواضعه !

وإذا تبين هذا فالذي يناسب الرفع إلى الله من معاني التوفّي هو التوفي بمعنى الإنامة لا الإماتة، إذ لا معنى لرفعه إلى الله ميتاً !

مع أن المراد بالرفع هو تطهيره من اليهود وإنجاؤه من مكرهم حين أرادوا قتله، وعلى تقدير التوفي بالإماتة لا تكون تلك البشارة بالتطهير والإنجاء قد تحققت، بل يكون قد أعان اليهود على قصدهم، وهو أن يتخلصوا من عيسى عليه السلام إما بالموت أو بالقتل !

وكيف يُفهم قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤] على تفسير التوفي بالإماتة، وهل المناسب لمكر الله المقابل لمكر اليهود أن يقتله هو قبل أن يقتلوه؟! أو أن يرفعه إليه حيّـا لينزل في آخر الزمان فينتقم من هؤلاء الذين كادوا له وآذوه، ويقاتلهم على الإسلام وحده، فمن أبى منهم روى الأرض من دمه، ومن أسلم نجاه إسلامه ؟

وليس في الروايات التي أوردها ابن كثير مما فيه تفسير التوفي بالإماتة رواية صحيحة تستحق الأخذ بها.

فرواية عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس رواية منقطعة؛ فإن ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وهي بذلك لا تقوى على معارضة الروايات الكثيرة عن ابن عباس في أنه رُفِعَ حيًا، وأنه سينزل من السماء، وعلى فرض صحتها فلابد أن يكون قد أراد منها ابن عباس أنه سيميتُه في آخر الزمان بعد أن ينزل إلى الأرض– كما قاله قتادة–، ومعلوم أن الواو لمطلق الجمع لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً، أو أنه أماته ثم بعثه– كما

رواه ابن إسحاق عن وهب بن منبه-، وذلك لتتفق مع الروايات الأخرى عنه .

وأما رواية ابن إسحاق عن وهب فهي كذلك لا تساوى شيئاً، فابن إسحاق صاحب سير وليس برجل حديث[1] ، ووهب بن منبه كان يهوديًا [2] ثم أسلم، ومعلوم أن مسلمة أهل الكتاب يُدخلون كثيراً من الإسرائيليات التي عندهم في تفسير القرآن، على أن وهباً قال: إن عيسى مات ثلاث ساعات رفع خلالها إلى السماء ثم رجعت إليه الحياة بعد ذلك .

وقد ورد عن ابن حزم أنه قال بموت عيسى [3] ورفعه، وقوفاً مع لفظ: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] ، فلم يخالف في الرفع .

وإنما خالف في الحياة لجموده على ظاهر اللفظ كما هو شأن الظاهرية !

فلم يبق من المعاني الصحيحة في تفسير الآية إلا ثلاثة تفاسير:

---

(١) رحم الله المؤلف وغفر له، فابن إسحاق رحمه الله إمام وصاحب حديث، ومن راجع أقوال أهل الحديث فيه وجد شهادتهم له بذلك، وإليك بعض أقوالهم- كما وردت في تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٦/٩-٣٧)-:

- قال البخاري : قال لي إبراهيم بن حمزة: كان عند إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق نحو من سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي . قلت: وهل بعد هذا القول يقال أن ابن إسحاق رجل سير وليس برجل حديث!!

- وقال عاصم بن عمر بن قتادة: لا يزال في الناس علم ما بقي ابن إسحاق .

- وقال أبو معاوية: كان ابن إسحاق من أحفظ الناس ... إلخ .

- وقال البخاري رحمه الله : رأيت عليّ بن عبد الله يحتج بحديث ابن إسحاق .

(٢) أخشى أن يتخذ هذا القول مدرجاً للطعن في وهب بن منبه رحمه الله؛ فإن بعض أصحاب النفوس المريضة قد طعن فيه وفي كعب الأحبار وحط عليهما، فكن على حذر أيها القارئ من الطاعنين في سلف الأمة.

(٣) المحلى (٢٨/١) .

١ – رأي الجمهور الذي اختاره ابن كثير ورواه عن الحسن، وهو الرأي الذي يفسر التوفي بالإنامة .

٢ – رأى قتادة: وهو أن في الكلام تقديماً وتأخيراً، والتقدير: إني رافعك ومتوفيك؛ أي بعد النزول .

٣ – رأى ابن جرير[١] في أن المراد بالتوفي هو نفس الرفع، والمعنى: إني قابضك من الأرض ومستوفيك ببدنك وروحك، وينسب هذا التفسير إلى ابن زيد[٢]، وهو الذي حكاه ابن كثير عن مطر الوراق[٣] .

وهذه الأقوال الثلاثة[٤] متفقة على أنه رفع حيًا، وإن كان بعضها أصح وأولى بالقبول من بعض، فأصحها الأول، وهو قول الجمهور، ويليه قول قتادة، ويليه قول ابن جرير، والله أعلم .

الآية الثانية

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨] .

فهو –سبحانه– يُكذِّب اليهود فيما زعموه من قتل عيسى عليه السلام وصلبه،

---

(١) جامع البيان (٤٦١/٦) .

(٢) هو محمد بن زيد بن المهاجر المدني التابعي، يعد من شيوخ الإمام مالك والزهري– رحمهم الله –. [تهذيب التهذيب (١٥٣/٩)] .

(٣) هو مطر بن طهمان الوراق، أبو رجاء الخراساني السلمي، مولى عليّ، توفي قرب الأربعين ومائة. [تهذيب التهذيب (١٥٢/١٠–١٥٣)].

(٤) وقد ذكر الألوسي – رحمه الله– أقوالاً أخرى، فراجعها في روح المعاني (١٧٩/٣) .

ويخبر -وهو أصدق مخبر- أن عيسى قد شُبِّه لهم، يعني أُلقي شبهه على رجل من أتباعه، أو من أعدائه، فأخذوه فقتلوه وصلبوه ظانين أنه عيسى، ثم يخبر عن شكهم وحيرتهم، وأنهم ليسوا على يقين من أن الذي قتلوه هو عيسى، وإنما يظنون ذلك ظناً عارياً عن اليقين.

ثم يذكر في مقابل ادعائهم لقتله وصلبه أن الله رفعه إليه، ثم يختم الآية باسمين كريمين من أسمائه، وهما: العزيز والحكيم، ليدل على قهره لأعدائه بإفساد مكرهم، وحكمته فيما دبر من تخليص عيسى وإنجائه برفعه إلى السماء، فالآية صريحة في أنه رفعه حيّاً، لأنه ذكر الرفع وأثبته مكان الذي نفاه من القتل والصلب، ولو كان عيسى عليه السلام قد مات في الأرض ودفن وأن المراد بالرفع رفع روحه أو منزلته- كما يزعم المنكرون- لما حسُن ذكر الرفع في مقابل نفي القتل والصلب؛ لأن الذي يناسب نفي القتل والصلب عنه هو رفعه حيّاً لا موته، وإلا لقال: وما قتلوه وما صلبوه بل الله هو الذي أماته.

وكيف يتوهم متوهم أن المراد بقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] هو رفع روحه، وهو إنما ذكر لإبطال ما زعموه من قتله وصلبه ورفع الروح لا يبطل القتل والصلب بل يجامعهما؛ فإنهم لو قتلوه -فرضاً- لرفعت روحه إلى الله، على أن في إخباره عز وجل بأنه رفعه إليه ما يشعر باختصاصه بذلك، والذي يمكن أن يختص به عيسى هو رفعه حيّاً بجسده وروحه، لأن أرواح جميع الأنبياء -بل المؤمنين- ترفع إلى الله بعد الموت! لا فرق بين عيسى وغيره، فلا تظهر فيه الخصوصية [1].

ثم ختم الآية بقوله: ﴿وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ يدل على أنه مشهد تجلت فيه عزة الله وحكمته، ولا يتم ذلك إلا حيث يكون المشهد غريباً مثيراً؛ فأي غرابة أو إثارة

(١) وفي الحقيقة هذه حجة ثانية قوية- بل أقوى من الأولى-، فرحم الله المؤلف وأجزل له العطاء.

في موته ثم رفع روحه، وهو كما قلنا عام في جميع المؤمنين ؟!

ولننظر بعد ذلك فيما قاله مفسرو السلف في هذا الصدد:

قال ابن أبي حاتم [1]: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: (لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين -يعني- فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثني عشر مرة بعد أن آمن بي، قال: ثم قال: أيكم يُلْقَى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنًا، فقال له: اجلس. ثم أعاد عليهم، فقام ذلك الشاب، فقال: اجلس. ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال: أنا . فقال: هو أنت ذاك. فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء، قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه، فكفر به بعضهم اثني عشر مرة بعد أن آمن به).

قال ابن كثير بعد روايته لهذا الحديث: (وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ورواه النسائي [2] عن أبي كريب، عن أبي معاوية- بنحوه -،وكذا ذكره غير واحد من السلف أنه قال لهم: أيكم يلقَى عليه شبهي فيقتل مكاني وهو رفيقي في الجنة).

وقال ابن إسحاق [3]: (وحدثني رجل كان نصرانيًا فأسلم: أن عيسى حين جاءه من الله: إني رافعك إليّ، قال: يا معشر الحواريين، أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة حتى يشبه للقوم في صورتي فيقتلوه في مكاني ؟

---

(١) نقله ابن كثير عنه في التفسير (١/٥٧٤).

(٢) في كتاب التفسير، وهو على وشك الطبع، تقوم بطبعه مكتبة السنة- حماها الله- في مجلدين بتحقيق أحد الفضلاء.

وقد تم طبعه بحمد الله بتحقيق سيد بن عباس الجليمي وصبرى الشافعي.

(٣) رواه ابن جرير (٩/٣٧٢).

فقال سرجس : أنا يا روح الله. قال: فاجلس في مجلسي، فجلس فيه، ورفع عيسى عليه السلام، فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه، فكان هو الذي صلبوه وشبه لهم به).

وقال ابن جرير عن مجاهد [١]: (صلبوا رجلاً شبه بعيسى ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء حيًا).

الآية الثالثة

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء:١٥٩].

قال ابن جرير [٢]: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء:١٥٩] يعني قبل موت عيسى.

يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية، دين إبراهيم عليه السلام.

ذِكْر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ قال: قبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام [٣].

وقال العَوْفي [٤] عن ابن عباس مثل ذلك.

وقال أبو مالك في قوله: ﴿ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[النساء:١٥٩]، قال: ذلك عند

---

(١) رواه ابن جرير (٩/٣٧٤).

(٢) جامع البيان (٩/٣٧٩).

(٣) جامع البيان (٩/٣٨٠)، وصححه ابن حجر في [الفتح (٦/٤٩٢)].

(٤) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي القيسي الكوفي أبو الحسن، توفي سنة (٢٧)، وقيل غير ذلك. [راجع التهذيب (٧/٢٠٠-٢٠١)].

نزول عيسى، قبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به .

وقال الضحاك: عن ابن عباس: ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ﴾ [النساء:١٥٩] يعني اليهود خاصة.

وقال الحسن البصري: يعني النجاشي وأصحابه.

ورواهما ابن أبي حاتم [١] .

وقال ابن جرير[٢] : حدثني يعقوب، حدثنا أبو رجاء، عن الحسن: ﴿ وَإن من أهْلِ الكِتابِ إلا ليُؤمننّ به قَبْلَ مَوْته ﴾ قال: قبل موت عيسى، والله إنه الآن حيّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون.

قال ابن كثير بعد روايته لكلام ابن جرير [٣] : وكذا قال قتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد، وهذا القول هو الحق كما سنبينه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .

وبعد أن روى ابن كثير عن ابن جرير قول الذين [٤] قالوا إن الضمير فى قوله: ﴿قَبْلَ مَوْته ﴾ [النساء: ١٥٩] هو للكتابيّ لا لعيسى، يعني وما من أحد من أهل الكتاب – يهوديّ ولا نصرانيّ – إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت ذلك اليهوديّ أو النصرانيّ، وكذلك رأي من قال: إن معناه: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موته، أي قبل موت ذلك الكتابي . قال ابن كثير: ثم قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول، وهو أنه لا

---

(١) ونقله ابن كثير (٥٧٦/١) .

(٢) جامع البيان (٣٨٠/٩) .

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥٧٧/١) .

(٤) جامع البيان (٣٨٦/٩) .

يبقى[1] أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام. ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبّه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه وإنه باق حي وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة – التي سنوردها إن شاء الله قريباً– فيقتل مسيح الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق واحد منهم، ولهذا قال: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء:١٥٩] ، أي قبل موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء:١٥٩]، أي بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض .. إلى أن قال[2] : بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليُكذّب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارى الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق، ففرط هؤلاء اليهود وأفرط[3] هؤلاء النصارى؛ تنقصه اليهود بما

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٤٩٢/٦): قوله في الآية ﴿ وإن ﴾ بمعنى « ما »، أي لا يبقى أحد من أهل الكتاب –وهم اليهود والنصارى– إذا نزل عيسى إلا آمن به .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٧٧/١) .

(٣) وكل من الإفراط والتفريط– أو المجاوزة والتقصير– مذموم، وقد أوقع الشيطان كثيراً من الناس في هذين الأمرين، ولقد ضرب العلامة ابن القيم أمثلة لكيد الشيطان لبعض الناس بسبب وقوعهم في الأمرين السابقين تراها في إغاثة اللهفان .

رموه به وأمه من العظائم، وأطراه النصارى بحيث ادّعوا فيه ما ليس فيه فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى الربوبية، تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علوّا كبيراً وتنزه وتقدس لا إله إلا هو . ا.هـ.

ويقول عبد الله الغماري في كتابه (إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان):

تنبيه [1] : تبين مما أوردناه من الأدلة أن احتمال عود الضمير في ﴿موته﴾ على الكتابيِّ ضعيف، واحتمال عوده في (به) على غير عيسى باطل، والاحتمالات الضعيفة والباطلة لا تنهض للحجية ولا تقوى للاستمساك، فتكون الآية الكريمة نصّاً في حياة عيسى ونزوله بمعونة ما ذكر.

واللفظ يكون نصّاً بنفسه تارة وبما ينضم إليه من القرائن تارة أخرى، وليس كل احتمال في اللفظ يؤثر في نصيّته كما يتوهم كثير ممن لم يُحْكِموا قواعد علم الأصول . ا. هـ.

---

(١) إقامة البرهان .

الآيات في نزول عيسى عليه السلام

الآية الأولى

قال الله تعالى من سورة آل عمران في بشارة مريم بعيسى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران:٤٦] ،وقال جل شأنه في سورة المائدة مخاطباً عيسى: ﴿ إذ قال الله يا عيسى ابن مَرْيَم اذكر نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالدتكَ إِذْ أَيَّدتكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ [المائدة:١١٠] .

روى ابن جرير [١] عند تفسير الآية الأولى، قال: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: سمعته -يعني ابن زيد- يقول في قوله: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ [آلعمران:٤٦]، قال: قد كلمهم عيسى في المهد وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل .

وقال ابن جرير [٢] أيضاً: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥] قال: متوفيك: قابضك، قال: متوفيك ورافعك واحد، قال: ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال وسيموت وتلا قول الله عز وجل: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ [آل عمران: ٤٦]، قال: رفعه الله قبل أن يكون كهلاً ، قال: وينزل كهلاً .

وقال الحسين بن الفضل البجلي: إن المراد بقوله: ﴿ وَكَهْلاً ﴾ أن يكون كهلاً بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلم الناس ويقتل الدجال .

---

(١) جامع البيان (٦/٤٢٠) .

(٢) جامع البيان (٦/٤٥٧) .

قال الحسين بن الفضل: وفي هذه الآية نص في أنه عليه الصلاة والسلام سينزل إلى الأرض.

وقال ثعلب[1] في قوله: ﴿ وكهلاً ﴾: ينزل عيسى إلى الأرض كهلاً. ا. هـ.

وهذا الذي نقلناه عن ابن جرير هو قول عامة أهل التفسير[2]، كلهم يفسرون الآية به، ويجعلونها دليلاً على نزول عيسى عليه السلام، وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه، فإن قوله سبحانه: ﴿ وكهلاً ﴾ معطوف على متعلق الظرف قبله داخل معه في حكمه، والتقدير: ويكلم الناس طفلاً في المهد ويكلمهم كهلاً، فإذا كان كلامه في حالة الطفولة عقب الولادة مباشرة آية فلابد أن المعطوف عليه وهو كلامه في حال الكهولة كذلك، وإلا لم يُحتَجْ إلى التنصيص عليه؛ لأن الكلام من الكهل أمر مألوف معتاد، فلا يحسن الإخبار به، لاسيما في مقام البشارة، بل لابد أن يكون المراد بهذا الخبر أن كلامه كهلاً سيكون آية ككلامه طفلاً، بمعنى أنه سيرفع إلى السماء قبل أن يكتهل ثم ينزل فيبقى في الأرض إلى أن يكتهل ويكلم الناس كهلاً.

وقد ذهب جمهور المحدِّثين والمؤرِّخين إلى أنه عليه السلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[3]، وأنه سيمكث في الأرض إذا نزل أربعين سنة كما جاء في الحديث[4] الصحيح، وقيل: أربعاً وعشرين سنة، نقله ابن جرير عن كعب الأحبار بسند صحيح،

---

(١) ثعلب: هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، إمام الكوفيين في النحو واللغة، ولد سنة مائتين، له ترجمة في [تاريخ بغداد (٥/٢٠٤)]، وتذكرة الحفاظ (٢/٢١٤)، والمنتظم لابن الجوزي (٦/٤٤).

(٢) راجع ابن كثير (١/٣٦٤) وروح المعاني (٤/١٧٩) والكشاف للزمخشري (١/١٩٢) وزاد المسير (١/٣٩٦) وأنوار التنزيل (ص٧٥).

(٣) قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (١/٨٤) «وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يعرف له أثر متصل يجب المصير إليه» ا.هـ.

(٤) سيأتي تخريجه بعد قليل.

وقيل: بل سبع سنين التي هي تتمة الأربعين، والصحيح: الأول [1].

الآية الثانية

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩].

هذه الآية تقدم أن قلنا- نقلاً عن ابن جرير-: أن أولى الأقوال فيها بالصحة هو كون الضمير في قوله ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ لعيسى عليه السلام، وأنه حين ينزل لا يبقى أحد من أهل الكتاب الموجودين في ذلك الزمان إلا آمن به وصدقه، لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فمن أبى الإسلام عاجله بالسيف، وعلى كون الضمير لعيسى- كما هو الصحيح المعوّل عليه- يكون نزوله أمراً بدهيًا لا شك فيه، فإن أهل الكتاب لن يصعدوا إلى السماء ليؤمنوا به! ولكنه هو الذي سينزل إلى الأرض كما صرحت به الأحاديث الصحيحة المتواترة التي سنوردها قريباً إن شاء الله.

الآية الثالثة

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٦١].

قال عبد الله الغماري في كتابه (إقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان) عند كلامه على هذه الآية [2]: أي: وإن عيسى لعَلَم للساعة تعلم بنزوله فلا تشكن فيها، بهذا فسرها النبي ﷺ.

---

(١) واعتمده الحافظ في الفتح وارتضاه، وأثر كعب الأحبار صححه السيوطي في الدر (٢٢٥/٢).

(٢) إقامة البرهان.

قال ابن حبان [1] في صحيحه: ذكر البيان بأن نزول عيسى ابن مريم من أعلام الساعة:

أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل، حدثنا هشام بن عمار، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن عاصم، عن أبي رزين، عن أبي يحيى مولى ابن عفراء، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف:٦١]، قال: (نزول عيسى ابن مريم من قبل يوم القيامة).

هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وعاصم من أئمة القراء المشهورين.

وجاء عن ابن عباس وأبي مالك والحسن ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم مثل ما جاء عن النبي ﷺ، وآثارهم مروية في تفسير ابن جرير بأسانيد مختلفة وطرق متعددة كلها تصرح بأن المراد بالآية نزول عيسى قبل قيام الساعة.

وهذا التفسير هو المتعين الذي لا يجوز في الآية غيره، والدليل عليه أمور:

أحدها: أنه الذي صحَّ عن النبي ﷺ -كما تقدم-.

ثانيها: أن سياق الكلام في عيسى عليه السلام؛ اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ * وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف:٥٧-٦١].

فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة كما قال ابن جرير فيما سبق.

ثالثها: أنه لو أُعيد الضمير على غير عيسى كما قيل لأوجب ذلك ركَّة في اللفظ

(١) رواه ابن حبان (٢٨٨/٨).

تتنزه عنها بلاغة الكتاب الحكيم. ا. هـ.

وقال العلامة ابن كثير [1]: وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف: ٦١] تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بُعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأسقام، وفيه نظر، وأبعد منه ما حكاه قتادة نقلاً عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في ﴿ وإنه ﴾ عائد على القرآن، بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن السياق في ذكره. ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء:١٥٩] أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيداً. ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى: ﴿ وإنَّه لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف:٦١]، أي: آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة.

وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً. ا.هـ.

والآن فلنأخذ في إيراد ما صح من الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام، وهي- وإن كان كل منها حديث آحاد- إلا أن القدر المشترك بينها متواتر تواتراً [2] معنويًا يفيد القطع بثبوت مضمونها، **فنقول وبالله التوفيق:**

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٣٢/٤).

(٢) وممن صرح بتواتره: العلامة الطبري والنووي والقاضي عياض وابن حجر وابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير والعلامة الأُبِّيّ وابن عطية وأبو حيان الأندلسي والشوكاني والألوسي ومحمد صديق حسن خان ومحمد حبيب الله الشنقيطي والسفاريني والكتاني والكشميري والألباني والشيخ أحمد شاكر والكوثري والغماري.

الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام [١]

الحديث الأول

روى الشيخان [٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لَيُوشكَن أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً عَدلاً فيكسرُ الصَّليب ويقتل الخنزير ويَضَعَ الجزية ويَفيض المالَ حتى لا يَقْبَلَهُ أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) هذا لفظ البخاري.

وأما مسلم فلفظه في أتم رواياته: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مُقسِطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى

---

(١) هذه الأحاديث نقلها المؤلف من تفسير ابن كثير (٥٧٨/١-٥٨٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب البيوع: باب قتل الخنزير (٤١٤/٤)، وكتاب المظالم: باب كسر الصليب وقتل الخنزير (١٢١/٥)، وكتاب الأنبياء: باب نزول عيسى ابن مريم (٤٩٠/٦)، ومسلم في كتاب الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ ح (١٥٥). وابن منده في كتاب الإيمان (٥١٣/١) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٧٣٥/٢) لعبد بن حميد، وسيأتي، الحديث في هذه الرسالة من رواية الآجري.

غريب الحديث:

- ليوشكن: بكسر المعجمة، أي ليقربن، أي: لابد من ذلك سريعاً. فتح (٤٩١/٦).
- حكماً مقسطاً: أي حاكماً عدلاً يحكم بشريعة النبي ﷺ لأنها لا تنسخ إلى يوم القيامة.
- يكسر الصليب: أي يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى في مجيئه. فتح (٤٩٢/٦).
- يقتل الخنزير: أي يأمر بإعدامه مبالغة في تحريم أكله، وفيه توبيخ عظيم للنصارى الذين يدّعون أنهم على طريق عيسى ثم يستحلون أكل الخنزير ويبالغون في محبته. فتح (٤١٤/٤).
- يضع الجزية: أي لا يقبل من النصارى غير الإسلام أو القتل. قال الحافظ في الفتح (٤٩٢/٦): =

لا يقبله أحد) .

وفي رواية له بزيادة: (حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) مثل ما تقدم في رواية البخاري، وفي الصحيحين بعد ذكر هذا الحديث من رواية أبي هريرة ما لفظه: ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩] .

ومعنى هذه الجملة – ثم يقول أبو هريرة –بالإسناد السابق، مستدلاً على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان تصديقاً لهذا الحديث وغيره من الأحاديث الدالة على نزوله في آخر الزمان كما سنوردها إن شاء الله ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ ﴾ [النساء:١٥٩] بعيسى قبل موت عيسى، وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله، فتكون الملة واحدة، وهي ملة الإسلام –كما تقدم–، وبهذا المعنى جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير[١] من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح، وقد تقدم ذلك عند الكلام على تفسير تلك الآية .

الحديث الثاني

وروى الشيخان [٢] أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه–مرفوعاً–: (كيف

= ويحتمل أن يقال: إن مشروعية قبولها (أي الجزية) من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم– بزعمهم–، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته، فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حججهم وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم، هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً ا.هـ.

– يفيض المال : أي يكثر، وسبب كثرته نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم، وحينئذ تخرج الأرض كنوزها وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة. الفتح (٦/٤٩٢) .

(١) رواه الطبري (٩/٣٨٠)، وصححه الحافظ في الفتح (٦/٤٩٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأنبياء: باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام (٦/٤٩١) ومسلم: كتاب =

أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء في نزول عيسى عليه السلام، ورواه مسلم في آخر كتاب الإيمان في باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا ﷺ، وكذلك رواه أحمد.

فأنت ترى أن البخاري ومسلماً -رحمهما الله- قد اتفقا على رواية هذين الحديثين من عدة طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومعلوم عند كل مسلم أن ما اتفق عليه الشيخان يعتبر أصح الكلام بعد كتاب الله عز وجل وأوثقه.

يقول الشيخ الشنقيطي صاحب كتاب (زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم) بعد روايته لهذا الحديث الأخير:

تنبيه [1]: يجب شرعاً اعتقاد أن عيسى عليه الصلاة والسلام لا زال حيّاً إلى الآن، وأنه لابد أن ينزل في آخر الزمان حاكماً بشرع نبينا عليه الصلاة والسلام ومجاهداً في

= الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ ح (١٥٥) وأحمد (٣٣٦/٢) وابن حبان (٢٨٤/٨) والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٤٢٤) وابن منده في الإيمان (٥١٥/١).

فوائد:-

الأولى: الإمام المذكور في الحديث هنا هو المهدي المنتظر، واسمه (محمد بن عبد الله)، وقد ورد صريحاً في حديث رواه نعيم بن حماد في الفتن كما في العرف الوردي للسيوطي، وراجع فتح الباري (٤٩٣/٦، ٤٩٤)، وزاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم (٢٣٠/١، ٢٣١) وفيض الباري على صحيح البخاري (٤٤/٤-٤٧).

الثانية: قال الحافظ في الفتح (٤٩٣/٦): قال العلماء: الحكمة فى نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم..

الثالثة: قد يقال: لِمَ لَمْ يُصلِّ عيسى إماماً ابتداء؟ والجواب: قال الحافظ نقلاً عن ابن الجوزي ما لفظه: لو تقدم عيسى إماماً لوقع في النفس إشكال، ولقيل: أتراه تقدم نائباً أو مبتدئاً شرعاً فصلى مأموماً لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجهُ قوله: «لا نبي بعدي».

الرابعة: قال الحافظ فى الفتح (٤٩٤/٦): .. وفى صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة، والله أعلم».

(١) زاد المسلم (٢٣١/١ و ٢٣٢).

سبيل الله تعالى، كما تواتر عن الصادق المصدوق، وإنما وجب اعتقاد ذلك لأن الله تعالى أخبر في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن اليهود ما قتلوه، وأنه تعالى رفعه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

وقد وردت الأحاديث المتواترة -كما سبق- أنه ينزل في آخر الزمان حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، وغير ذلك من الأحاديث المصرّحة بنزوله وبمدته حيًا في الأرض بعد نزوله، ولم يصح حديث بموته تمكن معارضته لما صح بالتواتر من نزوله في آخر الزمان.

وإذا أخبر القرآن أنه رفع ولم يقتل، وبين النبي ﷺ لنا أنه سينزل في آخر الزمان، وفصّل لنا أحواله بعد نزوله تفصيلاً رافعاً لكل احتمال: وجب اعتقاد ذلك على كل مسلم.

ومَن شك فيه فيكون كافراً بإجماع الأمة:

لأنه مما عُلِم من الدين ضرورة بلا نزاع، وكل إيراد عليه من الملاحدة والجهلة باطل لا ينبغي لكل من اتصف بالعلم أن يلتفت إليه. ا.هـ.

الحديث الثالث

روى مسلم في صحيحه [1] عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة). قال: (فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة).

---

(١) رواه مسلم: كتاب الإيمان: باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ ح(١٥٦) وأحمد (٣/٣٤٥، ٣٨٤) وابن منده في كتاب الإيمان (١/٥١٧).

غريب الحديث:

- الأمير: هو المهدي، وقد تقدم الكلام عليه، وأحاديثه متواترة أيضاً.
- تكرمة: تفعلة، من الكرامة [النهاية (٤/١٦٨)]، والمراد إظهار كرامة هذه الأمة وفضلها وشرفها على سائر الأمم.

الحديث الرابع

روى مسلم [1] عن نافع، قال: قال عبد الله بن عمر: ذكر رسول الله ﷺ يوماً بين ظهراني الناس المسيح الدجال، فقال: (إن الله تبارك وتعالى ليس بأعورَ ألا إن المسيح الدجال أعورُ عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية). قال: وقال رسول الله ﷺ: (أراني الليلة في المنام عند الكعبة، فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من أدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه، رجل الشعر، يقطر رأسه ماء، واضعاً يديه على منكبي رجلين، وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم. ورأيت وراءه رجلاً جعداً قططاً أعور عين اليمنى، كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن، واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت[*]! فقلت: من هذا؟ قالوا: هو المسيح الدجال).

---

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها﴾ (٤٧٧/٦) وكتاب الفتن: باب ذكر الدجال (٩٠/١٣) ومسلم كتاب الإيمان: باب ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام والمسيح الدجال.

غريب الحديث:

- ظهراني: أي جالساً وسط الناس، والمراد أنه جلس بينهم مستظهراً لا مستخفياً. [فتح (٤٨٥/٦)].
- عنبة طافية: ويروى: طافئة (بالهمز)، وعلى الرواية الأولى يكون المعنى ناتئة بارزة تتوء حبة العنب عن أخواتها، وعلى الرواية الثانية يكون المعنى ذهب ضوؤها، وفي صفة عين الدجال أحاديث أخرى، راجعها في الفتح (٤٨٥/٦-٤٨٦).
- آدم: أسمر اللون.
- كأحسن ما ترى من أدم: أي جميل السمرة جداً. ولا تنافي بين هذا وما ورد أنه يميل إلى الحمرة، فإن كثيراً من السمر يكون أحمر الوجنتين.
- لمته: بكسر اللام، أي شعر رأسه.
- منكبيه: عظام الكتفين، والمراد أن شعره طويل يضرب بين منكبيه.
- رجل الشعر: أي أن شعره قد دهن وسرح.
- يقطر رأسه ماء: كناية عن النضارة والنظافة والجمال، حتى كأن شعره يقطر من الماء الذي سرحه به.
- جعداً: هو ضد السبط المسترسل.
- قططاً: أي شديد جعودة الشعر جعودة مكروهة.
- ابن قطن: رجل من قبيلة خزاعة هلك في الجاهلية واسمه عبد العزى بن قطن.

ومعنى هذا الحديث الذي رواه مسلم من عدة طرق عن ابن عمر: أن النبي ﷺ مُثِّلَ له في المنام- ومعلوم أن رؤيا الأنبياء وَحْيٌ- ما سيكون عليه الحال في آخر الزمان من نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وطوافه بالبيت، ومن ظهور المسيح الدجال كذلك، وطوافه بالبيت (*)، ويؤيد ذلك رؤيته لهما معاً في منام واحد، فإنه من المعلوم أن عيسى عليه السلام هو الذي سيقتل المسيح الدجال كما مر في الأحاديث.

الحديث الخامس

روى مسلم [1] في كتاب الحج في باب إهلال النبي ﷺ وهديه، عن أبي هريرة، عن رسول ﷺ أنه قال: « والذي نفسي بيده ليُهِلَّنّ ابن مريم بفجِّ الرَّوْحَاء حاجّاً أو معتَمِراً أو ليَثْنِيَنَّهُما»، وكذلك رواه أحمد.

(*) قال الحافظ في الفتح (١٣/٩٨-٩٩): « واستشكل كون الدجال يطوف بالبيت وكونه يتلو عيسى ابن مريم، وقد ثبت: أنه إذا رآه يذوب. وأجابوا عن ذلك: بأن الرؤيا المذكورة كانت في المنام، ورؤيا الأنبياء وإن كانت وحياً لكن فيها ما يقبل التعبير. وقال عياض: لا إشكال في طواف عيسى بالبيت، وأما الدجال فلم يقع في رواية مالك أنه طاف، وهي أثبت ممن روى طوافه. وتعقب بأن الترجيح مع إمكان الجمع مردود، لأن سكوت مالك (عن نافع) عن ذكر الطواف لا يردّ رواية (الزهري عن سالم)، وسواء ثبت أنه طاف أم لم يطف فرؤيته إياه بمكة مشكلة مع ثبوت: أنه لا يدخل مكة ولا المدينة، وقد انفصل عنه القاضي عياض بأن منعه من دخولها إنما هو عند خروجه في آخر الزمان » ثم قال الحافظ: « ويؤيده ما دار بين أبي سعيد وبين ابن صياد- فيما أخرجه مسلم- وأن ابن صياد قال له: ألم يقل النبي ﷺ أنه لا يدخل مكة ولا المدينة؟! وقد خرجت من المدينة أريد مكة!! فتأوّله من جزم بأن ابن صياد هو الدجال: على أن المنع إنما هو حيث يخرج، وكذا الجواب عن مشيه وراء عيسى عليه السلام » اهـ.

(١) رواه مسلم: كتاب الحج: باب إهلال النبي ﷺ وهديه ح(٢١٦/١٢٥٢)، وأحمد (٢/٢٤٠، ٢٧٢، ٥٤٠)، وابن منده في الإيمان (١/٥١٧).

غريب الحديث:

- ليهلن: أي يرفع صوته بالتلبية، يقول: لبيك اللهم لبيك.
- فج الروحاء: الفج: الطريق بين الجبلين، والروحاء: طريق يبعد عن المدينة ستة أميال.

يقول الشنقيطي في تعقيبه على هذا الحديث [1] : (فأيّ دليل أصرح في نزوله وكونه لا زال حيًا من إقسام النبي عليه الصلاة والسلام على أنه سيهل حاجًا أو معتمرًا مرة أو مرتين؟!) ا.هـ.

* * *

– ليثنيهما : أي يحرم بالحج والعمرة معاً .

(١) زاد المسلم (٤/٧٥) .

الحديث السادس

روى الإمام أحمد [1] عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: (ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير ويمحو الصليب وتجمع له الصلاة، ويعطي المال حتى لا يُقْبَلَ، ويضع الخراج، وينزل الروحاء فيحج منها أو يعتمر أو يجمعهما)، قال: وتلا أبو هريرة: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ الآية [النساء:١٥٩]، فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال: يؤمن به قبل موت عيسى، فلا أدري، هذا كله حديث النبي ﷺ، أو شيء قاله أبو هريرة). وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي موسى محمد بن المثنى عن يزيد ابن هارون عن سفيان بن حسين عن الزهرى -به-.

الحديث السابع

قال الإمام أحمد [2] : حدثنا عفان، حدثنا همام، أنبأنا قتادة، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: (الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن نبيٌّ بيني

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٩٠) وابن جرير (٦/٤٥٨) ولفظه: (ليَهْبِطَنَّ الله عيسى ابن مريم ...) -الحديث-، وفيه: (وليسلكن الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو ليثنين بهما جميعًا). وصحح سند أحمد وابن جرير الشيخ أحمد شاكر في المسند برقم (٧٨٩٠) والطبري (٦/٤٥٨).

(٢) رواه أحمد (رقم٩٢٥٩) وأبو داود (٤/١١٧) وابن جرير (٩/٣٨٨) وابن حبان (٨/٢٧٧) والحاكم (٢/٥٩٥) وصححه ووافقه الذهبي وابن أبي شيبة (١٥/١٥٨) وصحح سند أحمد الشيخ أحمد شاكر وكذا سند الطبرى. وأما الجزء الأول من الحديث فقد ثبت فى روايات كثيرة.

غريب الحديث :

- علات : أي ضرائر [فتح (٦/٤٨٩)]. قال ابن الأثير في النهاية (٣/٢٩١): أولاد العلات الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد، وأراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة.
- أولى الناس: أي أخص الناس به وأقربهم إليه، لأنه بَشَّر بأنه يأتي من بعده [الفتح (٦/٤٨٩)].

وبينه وإنه نازل فاعرفوه: رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصّران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمانة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفّى، ويصلي عليه المسلمون).

وكذا رواه أبو داود عن هدبة بن خالد عن همام بن يحيى. ورواه ابن جرير عن بشر بن معاذ عن يزيد بن هارون وعن سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة .

الحديث الثامن

قال مسلم[1] في صحيحه: حدثني زهير بن حرب، حدثنا معلّى بن منصور، حدثنا سليمان بن بلال، حدثنا سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار

- لم يكن نبيٌّ بيني وبينه: تدل هذه الجملة على تضعيف ما ورد من أن هناك نبيًا يدعّى خالد بن سنان.
- مربوع : يعني معتدل القامة بين الطويل والقصير، ويقال رجل ربعة ومربوع .
- ممصّران : أي فيهما صفرة خفيفة .
- الأمانة : أي الأمنة والسلام .
- ترتع : تلعب .

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب فتح قسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم ح(٢٨٩٧) وابن أبي شيبة (١٥/١٥٧–١٥٨) والحاكم (٤/٤٨٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. قلت وبعد ثبوت رواية مسلم له لا معنى لاستدراك الإمام الحاكم عليه، فتنبه .

غريب الحديث:
- الأعماق ودابق موضعان يقربان من مدينة حلب في الشام. معجم البلدان .
- المدينة: المراد بها حلب أو دمشق، وقيل: المراد بها المدينة النبوية، وضعف القول الأخير ابن مالك في الأزهار كما نقله القاري في المرقاة (٥/١٥٩) .

أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سُبّوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلثهم – أفضل الشهداء عند الله –، ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علّقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون –وذلك باطل– فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يُعِدُّون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن الله يقتله بيده، فيريهم دمه في حربته).

الحديث التاسع

قال أحمد [١]: حدثنا هشيم، عن العوام بن حوشب، عن جبلة بن سحيم، عن مؤثر بن عفازة، عن ابن مسعود، عن رسول الله ﷺ، قال: (لقيت ليلة أسري بي

– سبوا: أي: أسروا وأخذوا منا ثم آمنوا وقاتلونا معكم.
– قسطنطينية: هي إسطنبول كما في معجم البلدان.
– الزيتون: أي أشجار الزيتون.
– المسيح: هو الدجال الأكبر، ولقبه النبي ﷺ في حديث آخر بمسيح الضلالة.
– خلفكم: أي خرج وعاث في الأرض الفساد.
– فيخرجون: أي يخرج المسلمون الفاتحون من مدينة قسطنطينية وذلك لملاقاة الدجال وقتاله.
– باطل: أي أن هذا القول الذى قاله الشيطان لم يكن صحيحاً وإنما كان زوراً وباطلاً.
– جاءوا: أي جاءوا من القسطنطينية إلى بلاد الشام ودخلوا القدس كما في رواية.
– فأمهم: يعني أمر إمامهم بالإمامة، لأن نبي الله عيسى يقول للمهدي الإمام: تقدم فصل، وبهذا يتبين أن قوله: «فأمهم»: مجاز.
– بيده: أي بيد عيسى عليه الصلاة والسلام.

(١) رواه أحمد (٣٧٥/١) وابن ماجه (٤٠٨١) والحاكم في المستدرك (٣٨٤/٢) وصححه ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

إبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام-، فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم، فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى موسى، فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى عيسى، فقال: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله، وفيما عهد إليّ ربي عز وجل: أن الدجال خارج ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص، قال: فيهلكه الله إذا رآني، حتى إن الحجر والشجر يقول: يا مسلم، إن تحتي كافراً فتعال فاقتله؛ قال: فيهلكهم الله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيطئون بلادهم، فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه، قال: ثم يرجع الناس يشكونهم، فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تَجْوَى الأرض من نتن ريحهم، وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر، ففيما عهد إليّ ربي عز وجل: أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم، لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادها ليلاً أو نهاراً). وكذا رواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب- به، نحوه -.

قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على هذا الحديث: إسناده صحيح، جبلة بن سحيم تابعي ثقة، وثّقه أحمد والثوري وشعبة وابن معين وغيرهم، ومؤثر بن عفازة

غريب الحديث:

- قضيبان: أي سيفان.
- ذاب كما يذوب الرصاص: كناية عن هروبه واختفائه.
- الحجر والشجر: هذا القول حقيقيٌ وليس مجازيًا كما ذهب إليه البعض.
- يأجوج ومأجوج: هما أمتان عظيمتان من الأمم من ولد آدم، لا يحصون كثرة، يخرجون قبل قيام الساعة فيفسدون في الأرض ولا يصلحون، والأحاديث فيهم كثيرة، وهم المذكورون في قوله: ﴿ حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ﴾ [الأنبياء:٩٦].
- تجوى الأرض: يعني لا يطيق الإنسان المعيشة عليها من نتن رائحتهم.
- يجترف أجسادهم: أي يحملها ويلقيها.
- كالحامل المتم: يعني التي على وشك الوضع، والمراد سرعة اقتراب الساعة بين حين وآخر.

أبوالمثنى الكوفي ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحاكم: (روى عنه جماعة من التابعين)، وترجمه البخاري في الكبير، ورواه أيضاً الحاكم في المستدرك من طريق يزيد بن هارون، وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي. ا.هـ. ملخصاً.

الحديث العاشر

قال الإمام أحمد [1]: حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا حماد بن سلمة، عن عليّ ابن زيد، عن أبي نضرة، قال: أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم جمعة لنعرض عليه مصحفاً لنا، فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا، ثم أتينا بطيب فتطيبنا، ثم جئنا المسجد، فجلسنا، إلى رجل، فحدثنا عن الدجال، ثم جاء عثمان بن أبي العاص فقمنا إليه، فجلسنا فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يكون للمسلمين ثلاثة أمصار، مصر بملتقى البحرين، ومصر بالحيرة، ومصر بالشام، ففزع الناس ثلاث فزعات، فيخرج الدجال في أعراض الناس، فيهزم من قبل المشرق، فأول مصر يرده المصر الذي

---

(١) رواه أحمد (٢١٦/٤، ٢١٧) والحاكم في المستدرك (٤٧٨/٤) وابن أبي شيبة (١٣٦/١٥) وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم بذكر أيوب السختياني ولم يخرجاه. ا.هـ، فتعقبه الذهبي بقوله: «ابن هبيرة واهٍ» . ثم رواه الحاكم بسند ليس فيه أيوب، ثم قال الذهبي عن الإسناد الأخير: هو المحفوظ. قلت: وفي سند الحديث عليّ بن زيد: وفيه ضعف، وقد وثقه بعض العلماء. ولهذا قال الهيثمي في المجمع (٣٤٢/٧): رواه أحمد والطبراني وفيه عليّ بن زيد وفيه ضعف وقد وثق، وبقية رجالهما رجال الصحيح.ا.هـ .

غريب الحديث :

- لنعرض عليه مصحفاً : أي لنقابل بينهما .
- ملتقى البحرين: أي بحر فارس والروم .
- الحيرة : وهي من مدن العراق، على ثلاثة أميال من الكوفة [معجم البلدان لياقوت] .
- أعراض : جمع عرض، وهو الجانب والناحية، أي: يخرج الدجال في جوانب الناس، وفي رواية الحاكم تبين أنه «يخرج في وسط جيش» .

بملتقى البحرين، فيصير أهلها ثلاث فرق، فرقة تقول: نقيم نُشَامُّهُ ننظر ما هو، وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم، ومع الدجال سبعون ألفاً عليهم السيجان، وأكثر من معه اليهود والنساء، وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق، فيبعثون سرحاً لهم، فيصاب سرحهم، فيشتد ذلك عليهم، ويصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد، حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله، فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ من السحر: يا أيها الناس، أتاكم الغوث (ثلاثاً) فيقول بعضهم لبعض: إن هذا لصوت رجل شبعان! وينزل عيسى ابن مريم عند صلاة الفجر، فيقول له أميرهم: يا روح الله، تقدم صلِّ ،فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض، فيتقدم أميرهم فيصلي، حتى إذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته فذهب نحو الدجال، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص، فيضع حربته بين ثندوتيه، فيقتله، ويهزم أصحابه، فليس يومئذ شيء يواري منهم أحداً، حتى إن الشجرة تقول: يا مؤمن، هذا كافر، ويقول الحجر: يا مؤمن، هذا كافر » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

الحديث الحادي عشر

قال مسلم[1] في صحيحه أيضاً: حدثنا عبد الله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي،

- نشامه : أي نختبره ونتعرف ما عنده .
- السيجان : جمع ساج، وهو الطيلسان كما في رواية .
- عقبة أفيق : وهو موضع بالأردن، وهي عقبة طويلة نحو ميلين [راجع معجم البلدان] .
- سرحاً : مواشي لهم من غنم وإبل .
- جهد شديد: أي مشقة وهزال شديد في أجسامهم .
- السحر : هو آخر الليل قبل طلوع الفجر .
- ثندوتيه : لحم الثدي .

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب خروج الدجال ومكثه بالأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم للأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور. والحاكم (٥٥٠/٤) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
قلت: وقد أخرجه مسلم كما ترى!

حدثنا شعبة، عن النعمان بن سالم، قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به، تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟! فقال: سبحان الله- أو: لا إله إلا الله، أو كلمة نحوهما-، لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً !! إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً، يحرق البيت، ويكون، ويكون، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين- لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً -، فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه، فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة .

ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه). قال: سمعتها من رسول الله ﷺ، قال: (فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون ؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارّ رزقهم، حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس .

غريب الحديث:

- خفة الطير : أي في سرعتهم إلى الشر يكونون كالطير .
- أحلام السباع : أي في ظلم بعضهم بعضاً يكونون في أخلاق السباع الضارية العادية .
- دار رزقهم : أي في عيش رغيد .
- ينفخ في الصور : النفخة الأولى .
- أصغى ليتاً : أي مال بصفحة عنقه .
- يلوط حوض إبله: أي يطليه بالجص ونحوه .
- الطل : أي المطر الضعيف .

ثم يرسل الله – أو قال: ينزل الله –مطراً كأنه الطل، أو قال: الظل – نعمان الشاك–، فتنبت منه أجساد الناس ﴿ ثُم نُفخَ فيهِ أخرى فإذا هُم قيامٌ ينظرون ﴾، ثم يقال: يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم ﴿ وقِفُوهُم إنهم مسئولون ﴾.

ثم يقال: أخرجوا بعث النار. فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون. قال: فذلك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يكشف عن ساق.

وكذلك رواه مسلم والنسائي في تفسيره، كلاهما عن محمد بن بشار، عن غندر، عن شعبة، عن نعمان بن سالم، به.

والشاهد في هذا الحديث الصحيح قوله: (فيبعث الله تعالى عيسى ابن مريم)،وليس المراد ببعثه أنه يحييه من الموت، بل معناه أنه ينزله إلى الأرض–ليتفق مع بقية الأحاديث–.

الحديث الثاني عشر

قال الإمام أحمد[1]: أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عبد الله بن عبيد الله بن ثعلبة الأنصاري، عن عبد الله بن زيد الأنصاري، عن مجمع ابن جارية، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يقتل ابن مريم المسيح الدجال بباب لدّ– أو: إلى جانب لد–).

وكذا رواه الترمذي، وقال: وفي الباب عن عمران بن حصين [2] ونافع بن عيينة وأبي

– يكشف عن ساق: أي يكشف الرب عن ساقه، كما في رواية أخرى لمسلم، وهذه صفة من صفات الله، نؤمن بها ولا نعطلها ولا نشبهها، ونقول كما قال ربنا: ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾.

(١) رواه أحمد (٣/٤٢٠)، والترمذي (٢٢٤٤) وصححه، وابن أبي شيبة (١٥/١٦١).

غريب الحديث:

– باب اللّدّ: موضع بالشام وقيل بفلسطين.

(٢) هذه الأحاديث التي أشار إليها الترمذي مبثوثة في الصحاح والمسانيد والسنن والمعاجم والأجزاء فلتطلب من مظانها. راجع مجمع الزوائد (٧/٣٢٤–٣٥١) و (٨/١–٦) =

برزة وحذيفة بن أسيد وأبي هريرة وكيسان وعثمان بن أبي العاص وجابر وأبي أمامة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وسمرة بن جندب والنواس بن سمعان وعمرو ابن عوف وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم.

قال ابن كثير [1] : ومراده برواية هؤلاء ما فيه ذكر الدجال وقتل عيسى ابن مريم عليه السلام له، فأما أحاديث ذكر الدجال فقط فكثيرة جدًا، وهي أكثر من أن تحصى لانتشارها وكثرة روايتها في الصحاح والحسان والمسانيد وغير ذلك.

الحديث الثالث عشر

قال الإمام أحمد [2]: حدثنا سفيان، عن فرات، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال: (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزول عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق

= وجامع الأصول لابن الأثير (١٠/٣٢٧-٣٦٣) والدر المنثور (٢/٧٣٣-٧٤٣).

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٥٨٢).

(٢) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب في الآيات التي تكون قبل الساعة وأحمد (٤/٧) والترمذي (٢١٨٣) وابن ماجه (٤٠٥٥) وأبو داود (٤٣١١) والطيالسي (١٠٦٧) وأبو بكر بن أبي شيبة مختصراً (١٥/١٣٠) وتاماً (١٥/١٦٣) والنسائي في الكبرى (٣/٢٠) – تحفة الأشراف –.

غريب الحديث:

– الدخان: وهو من الآيات المنتظرة، وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾، وقد أورد ابن كثير (٤/١٣٩) أثراً عن ابن عباس وصححه في هذا المعنى.

– الدابة : وهي من الآيات المرتقبة أيضاً، وهي المذكورة في قوله: ﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾. قال الحافظ ابن كثير (٣/٣٧٤): هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق يخرج الله لهم دابة من الأرض فتكلم الناس على ذلك.

– أي تسوق الناس إلى مكان حشرهم، وهو أرض المحشر – بلاد الشام –.

– أو: يحشر – الناس، تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا).

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من حديث فرات القزاز – به –، ورواه مسلم أيضاً من رواية عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري موقوفاً.

الحديث الرابع عشر

أخرج مسلم [١] في صحيحه من حديث النواس بن سمعان الكلابي، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: (ما شأنكم؟) قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة

---

(١) رواه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب ذكر الدجال وصفته وما معه. وأبو داود مختصراً (٤٣٢١) والترمذي (٢٢٤٠) وابن ماجه (٤٠٧٥)، والحاكم (٤٩٢/٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قلت: وإذا كان الحديث في صحيح مسلم فلا داعي إذن لاستدراك الحاكم رحمه الله.

– فائدة: قال الحافظ في الفتح (٩١/١٣، ٩٣): قال الخطابي: فإن قيل: كيف يجوز أن يجريَ الله الآية على يد الكافر؟ فإن إحياء الموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء، فكيف ينالها الدجال وهو كذّاب مفترٍ يدّعي الربوبية؟! فالجواب: أنه على سبيل الفتنة للعباد؛ إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محق في دعواه، وهو أنه أعور مكتوب على جبهته (كافر) يقرأه كل مسلم، فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر؛ إذ لو كان إلهاً لأزال ذلك عن وجهه، وآيات الأنبياء سالمة من المعارضة، فلا يشتبهان.

– وفي الحديث بيان حرص الصحابة على الصلاة، ولهذا بادروا بالسؤال عن حال وقتها لمعرفة أدائها.

– قال العلامة القاري في المرقاة (١٩٦/٥): أي قدروا الوقت صلاة يوم في يوم – كسنة مثلاً – قدره الذي كان له في سائر الأيام، كمحبوس أشبه عليه الوقت.

وراجع صحيح مسلم (٦٦/١٨).

* قال العلامة القاري أيضاً: « ومن الغريب أن نفس عيسى عليه الصلاة والسلام تعلّق به الإحياء لبعضٍ والإماتة لبعضٍ » المرقاة (١٩٧/٥).

غريب الحديث:

– خفض: أي حقّر من شأنه. وقيل: إن رسول الله ﷺ خفض صوته عند الكلام على الدجال.

– رفع: أي بيّن عظم شأن فتنة الدجال. وقيل: رفع صوته لينتبه الجالس والسامع لعظيم فتنة الدجال.

– طائفة النخل: أي أنه من شدة وصف النبي ﷺ للدجال وفتنته ظن الصحابة أن الدجال مختبئ وراء نخل المدينة!

فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل! فقال: (غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافية، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف. إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا). قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض؟ قال: (أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم).

قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: (لا، اقدروا له قدره). قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون، له فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذُرى وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر.

ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها

- خلة: أي من طريق بينهما.
- عاث: أفسد فساداً شديداً.
- تروح: ترجع عليهم.
- سارحتهم: مواشيهم.
- ذرى: الذرى هو أعالي الأسنمة، كناية عن انتشار السمنة في جسد المواشي.
- أسبغه ضروعاً: أي أطوله لكثرة اللبن.
- أمده خواصر: لكثرة امتلائها من الشبع.
- ممحلين: أي ينقطع عنهم المطر وتيبس الأرض والكلأ.
- الخربة: الموضع الخراب.
- كيعاسيب النحل: مفرده يعسوب، وهو ذكر النحل.
- جزلتين: قطعتين.

كيعاسيب النحل، ثم يدعـو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربـه بالسيف فيقطعـه جزلتين رمية

الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح

ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعاً كفيه على

أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر

يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد،

فيقتله، ثم يأتي عيسى ابنَ مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم،

ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد

أخرجت عباداً لي لايدان لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج

ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما

فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه،

حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله

عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كنفس واحدة،

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا

ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق

البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله .

– رمية الغرض: الهدف الذى يرمي إليه بالنشاب، أي: يرميه كرمي النشاب إلى الهدف.

– ينسلون : يسرعون .

– يرغب: يدعو ويبتهل .

– النغف: دود .

– فرسى: هلكى، والمعنى أنهم يموتون دفعة واحدة .

– مدر : الطين الصلب .

– وبر : أي الخباء المصنوع من الشعر

ثم يرسل الله مطراً لا يكنُّ منه بيتُ مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك و ردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة) .

الحديث الخامس عشر

قال أبو عبد الله محمد ابن ماجة [1] في سننه: حدثنا عليّ بن محمد، حدثنا عبد الرحمن المحاربي، عن إسماعيل بن أبي رافع، عن أبي زرعة الشيباني يحيى بن أبى عمرو، عن أبي أمامة الباهلي، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثاً

- الزلقة: المرآة .
- العصابة: الجماعة .
- الرسل: اللبن .
- اللقحة: اللبون .
- الفئام: الجماعة .
- الفخذ من الناس: دون القبيلة .
- يتهارجون تهارج الحمر: أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما تفعل الحمير، ولا يعبأون بذلك ولا يكترثون .

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧)، والحاكم (٥٣٦/٤) مختصراً وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٧٣٩/٢) لأبي داود فوهم، لكنه عاد في الجامع الصغير فنسبه لابن خزيمة والضياء المقدسي ولم يذكر أبا داود. والحديث ضعفه الألباني بجملته في ضعيف الجامع برقم (٦٣٩٩)، وصحح فقرات منه لوجود شواهد لها في صحيح الجامع برقم ٧٧٥٢.

حدثناه عن الدجال وحذرناه، فكان من قوله أن قال:

« لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السلام أعظم من فتنة الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه، وإن الله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق، فيبعث يميناً ويبعث شمالاً [1].

ألا يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا، وإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي، إنه يبدأ فيقول: أنا نبيّ، فلا نبي بعدي، ثم يثني فيقول: أنا ربكم! ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، وإن ربكم عز وجل ليس بأعور، وإنه مكتوب بين عينيه: « كافر» يقرؤه كل مؤمن، كاتب أو غير كاتب، وإن من فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف، فتكون عليه برداً وسلاماً كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وإن من فتنته أن يقول لأعرابيّ: أرأيتَ إن بعثت لك أمك وأباك، أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطان [2] في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني، اتبعه، فإنه ربك، وإن من فتنته أن يسلّط على نفس واحدة فينشرها بالمنشار حتى تلقى شقتين، ثم يقول: انظروا إلى عبدي هذا، فإني أبعثه الآن ثم يزعم أن له ربّا غيري، فيبعثه الله، فيقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي الله وأنت عدو الله الدجال، والله ما كنتُ بعد أشد بصيرةً بك مني اليوم.

غريب الحديث:

- ذرأ: أي خلق.
- خارج لا محالة: يعني لا شك في خروجه، قلت: فأين من ينكر خروجه من قول رسول الله ﷺ هذا؟!!

(١) وفي سنن ابن ماجه: فيعيث يميناً ويعيث شمالاً.

(٢) وفي سنن ابن ماجه: شيطانان.

وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذّبونه، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدّقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعاً، وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه، إلا مكة والمدينة، فإنه لا يأتيهما من نقب من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة، حتى ينزل عند الظريب الأحمر، عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فينفى الخبث منها كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد، ويُدْعَى ذلك اليوم يوم الخلاص).

فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟! قال: (هم قليل، وجُلّهم يومئذ ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم عليه السلام الصبح، فرجع ذلك الإمام يمشي القهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول: تقدم فصلِّ فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتح، ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهوديّ، كلهم ذو سيف محلّى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هرباً، فيقول له عيسى: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب اللدّ الشرقي، فيقتله، ويهزم الله

– سائمة : أي ماشية ترعى .
– نقب : هو الطريق بين الجبلين .
– صلتة: أي مجردة عن أغمدتها .
– الظريب : أي الجبل الصغير .
– السبخة : هي الأرض التي لا تكاد تنبت إلا بعض الشجر .
– ترجف: أي تتزلزل وتضطرب .
– لن تسبقني بها: أي لن تفوتها عليّ .

اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهوديٌّ إلا أنطق الله ذلك الشيء -
لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة، إلا الغرقدة فإنها من شجرهم، لا تنطق- إلا قال
يا عبد الله المسلم، هذا يهوديٌّ فتعال اقتله) .

قال رسول الله ﷺ: (وإن أيامه اربعون سنة، السنة كنصف السنة، والسنة كالشهر
والشهر كاليوم، وآخر أيامه كالشرر، يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر
حتى يمسي) فقيل له: كيف نصلي يا نبي الله في تلك الأيام القصار؟! قال: (تقدرون
الصلاة كما تقدرون في هذه الأيام الطوال ثم صلوا) . قال رسول الله ﷺ: (فيكون
عيسى ابن مريم في أمتي حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يدق الصليب ويذبح الخنزير
ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترتفع الشحناء والتباغض
وتنزع حمة كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتُفِرُّ الوليدة
الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما
يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يُعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها
وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض لها نور الفضة، وتنبت نباتها كعهد آدم، حتى
يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم
ويكون الثور بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات) .

قيل: يا رسول الله، وما يرخص الفرس؟! قال: (لا تركب لحرب أبداً) . قيل له
فما يغلي الثور؟! قال: يحرث الأرض كلها .

- الغرقدة : وهو نوع من شجر الشوك .
- الشرر : ما يتطاير من النار .
- حمة : هو السم، ويطلق على إبرة العقرب للمجاورة لأن السم منها يخرج .
- تفر : أي تحمله على الفرار .
- القطف: العنقود، وهو اسم لكل ما يقطف .

جملة الآثار عن الصحابة والتابعين في نزول عيسى عليه السلام

١- أخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو، قال: ينزل عيسى ابن مريم، فإذا رآه الدجال ذاب كما تذوب الشحمة، فيقتل الدجال، ويفرق عنه اليهود، فيقتلون حتى إن الحجر ليقول: يا عبد الله- للمسلم - هذا يهوديٌّ فتعالَ فاقتله.

٢- وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود، قال: إن المسيح ابن مريم خارج قبل يوم القيامة.

٣- وأخرج الحاكم [١] وصححه، عن أبي الطفيل- وهو صحابي-، قال: كنت بالكوفة، فقيل: قد خرج الدجال، فأتينا حذيفة بن أُسيد، فقلت: هذا الدجال قد خرج، فقال: اجلس، فجلست، فنودي: إنها كذبة صباغ. فقال حذيفة: إن الدجال لو خرج في زمانكم لرمته الصبيان بالخذف، ولكنه يخرج في نقص من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، وتطوى له الأرض طيَّ فروة الكبش، حتى يأتي المدينة، فيغلب على خارجها، ويمنع من داخلها، ثم جبل إيلياء، فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول لهم الذي عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ويهزم أصحابه.

٤- وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن شهر بن حوشب، عن محمد بن عليّ -هو ابن الحنفية- في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٩]، قال: ليس من أهل الكتاب أحد إلا أتته الملائكة يضربون وجهه ودبره، ثم يقال له: يا عدو الله، إن عيسى لم يمت، وإنه رفع إلى السماء، وهو نازل قبل أن تقوم الساعة، فلا يبقى يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ إلا آمن به.

---

(١) رواه الحاكم (٥٢٩/٤) وصححه.

جملة من أقوال الأئمة والعلماء
المصرحة بنزول عيسى عليه السلام

١- قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في كتابه (اعتقاد أهل السنة والجماعة) ما نصه [١]: (ونؤمن بخروج الدجال الأعور العين، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء).

٢- وروى ابن أبي يعلى، والخلال، وابن الجوزيّ في المناقب[٢]، عن عبدوس بن مالك أبي محمد العطار، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول:

(أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك المراء والجدل والخصومات في الدين، والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، وإنما هو الاتباع وترك الهوى)....

إلى أن يقول: (والإيمان بأن المسيح الدجال خارج، مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى ابن مريم عليه السلام ينزل فيقتله بباب لد).

٣- وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري في كتابه [٣] (مقالات الإسلاميين): (جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء

---

(١) راجع شرح الطحاوية (ص٤٩٩).

(٢) رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص (١٧١).

(٣) مقالات الإسلاميين ص (٣٤٥).

من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا يردّون من ذلك شيئاً، وأن الله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ، وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر، وأن الحوض والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من الله لعباده حق، والوقوف بين يدي الله تعالى حق، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ)....

إلى أن يقول[1]: (ويصدقون بخروج الدجال، وأن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله).

٤- وقال الإمام أبو بكر الآجريّ في كتابه (الشريعة)، وهو كتاب عظيم جداً في الدعوة إلى مذهب أهل الحق والجماعة[2]: باب الإيمان بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام حكماً عدلاً، فيقيم الحق ويقتل الدجال:

حدثنا الفريابي، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن عطاء بن ميناء، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

(لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص لا يسعى عليها، وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد،

---

(١) مقالات الإسلاميين ص (٣٤٨).

(٢) رواه الآجريّ (ص ٣٨٠)، ومسلم بهذا اللفظ: كتاب الفتن وأشراط الساعة باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، وقد سبق تخريج الحديث بلفظ نحو هذا.

غريب الحديث:

- القلاص: جمع قلوص، وهي: الناقة الطويلة القوائم أو الشابة.

وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد)[1].

وحدثنا عمر بن أيوب السقطي، قال: حدثنا محمد بن يزيد أخو كدخويه، قال: أخبرنا وهب بن جرير، قال: حدثنا هشام، عن قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال[2]: (الأنبياء أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، وإنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، ويقاتل الناس على الإسلام، حتى يهلك الله في إمارته الملل كلها غير الإسلام، وحتى يهلك الله عز وجل في إمارته مسيح الضلالة الأعور الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض، حتى يرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، لا يضر بعضهم بعضاً، يلبث أربعين سنة ثم يُتوفّى، ويصلي عليه المسلمون).

[وحدثنا أبو أحمد يوسف بن هارون بن زيادة، قال: حدثنا ابن أبي عمر، قال:][*] حدثنا سفيان، عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضى الله عنه: أن النبي ﷺ قال: (يوشك أن ينزل ابن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد).

قال محمد بن الحسين– هو الآجريّ – رحمه الله: والذين يقاتلون مع عيسى عليه السلام هم أمة محمد ﷺ، والذين يقاتلون عيسى هم اليهود مع الدجال، فيقتل عيسى الدجال، ويقتل المسلمون اليهود، ثم يموت عيسى عليه السلام، ويصلي عليه المسلمون، ويدفن مع النبيّ ﷺ ومع أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– .

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه .

(*) غير موجود بالأصل، والمثبت من « الشريعة » للآجري .

حدثنا أبو العباس عبد الله بن الصقر السكري، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، قال: حدثنا عبد الله بن نافع الصائغ، [عن الضحاك بن عثمان عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه][*] قال: الأقبر المنارية: قبر النبي ﷺ، وقبر أبي بكر رضي الله عنه، وقبر عمر رضي الله عنه، وقبر رابع يدفن فيه عيسى ابن مريم ﷺ»[1] ا. هـ.

٥- وقال الشيخ العلامة محمد بن أحمد السفاريني السلفي الحنبلي في كتابه المسمى (لوامع الأنوار البهية)[2]:

« ومنها - أي من علامات الساعة العظمى - العلامة الثالثة: أن ينزل من السماء السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ونزوله ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ».

وبعد أن ساق بعض ما أوردناه من الآيات والأحاديث الدالة على نزوله قال[3]: « وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها ».

(*) هكذا في الشريعة للآجريّ، والصواب: [عن « عثمان بن الضحاك » ، عن « محمد بن » يوسف بن عبد الله ابن سلام، عن أبيه، «عن جده »،] .

(١) الشريعة للآجرى ص ٣٨١ .

ورواه الترمذي (٣٦١٧) والبخاري في التاريخ الكبير (٢٦٣/١) والطبراني كما في المجمع (٢٠٦/٨) من طريق عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال: مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى ابن مريم يدفن معه قال البخاري: هذا لا يصح عندي ولا يتابع عليه. وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب، وقال الهيثمي في المجمع (٢٠٦/٨): في سنده عثمان بن الضحاك: وثقه ابن حبان وضعفه أبو داود. ا.هـ . قلت: ولهذا قال الحافظ في التقريب: « صدوق يهم» . وقد ورد أيضاً من حديث عائشة، رواه ابن عساكر وضعفه ابن حجر في الفتح، و ورد من مرسل سعيد بن المسيب، وضعفه ابن حجر أيضاً (٦٦/٧)الفتح.

(٢) لوامع الأنوار البهية (٩٤/٢) .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٩٤/٢) .

الرد على صاحب المنار

والعجب من هذا الرجل الذي حمل لواء الدفاع عن الإسلام دهراً طويلاً ضد خصومه والطاعنين عليه من أهل الأديان الأخرى، ونافح - مشكوراً - عن مذهب السلف في العقيدة، وأحيا وجدد كثيراً مما درس من معاني الإسلام، أقول: العجب منه، يسقط في هذه المسألة سقطة لا لعاً لها!! ويلتوي في فهم الآيات والأحاديث التواء معيباً، ويتأثر وهو من رجال الأثر بكلام أستاذه[1] في هذه المسألة السمعية، ولكيلا نكون متجنين على الرجل سننقل هنا عباراته بنصها ثم نناقشه فيها، وقد كنا نريد أن نربأ بهذا الموضوع أن يكون موضع جدل أو نقاش، ولكنا نرى أنفسنا مضطرين إلى ذلك، حيث إن هذا الرجل ومن جاء بعده من أشياعه فى الإنكار قوم لهم شهرتهم العلمية، فالناس يسارعون إلى تصديقهم في كل ما يقولون، حتى ولو كان في تصديقهم تبديل للنصوص وهدم للآثار والأخبار!!

يقول - عفا الله عنه -: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]، أي: مكر الله بهم إذ قال لنبيه: إني متوفيك - إلخ -. فإن هذه بشارة بإنجائه من مكرهم وجعل كيدهم في نحرهم قد تحققت ولم ينالوا منه ما كانوا يريدون بالمكر والحيلة.

ومعنى هذا أن مكر الله باليهود في نظر العلامة الشيخ رشيد لم يكن مصداقه إلا بشارته لعيسى عليه السلام بأنه هو الذي ينفذ فيه ما أراده اليهود من موته دون أن يمكنهم هم من قتله، ثم يرفع روحه إليه كما يرفع إليه سائر أرواح المؤمنين! فأيّ بشارة هذه؟! وأيّ مكر هذا؟! ولماذا ضنّ الله على عيسى بمنصب الشهادة الذي سبقه إليه

(١) هو الشيخ محمد عبده.

كثير من أنبياء بني إسرائيل، ورضي له أن يموت حتف أنفه كما يموت البعير! ألا فليهنأ اليهود أن الله أراحهم من عيسى عليه السلام، وعجل لهم الخلاص منه ومن دعوته، وهذا هو كل ما يريدون، وما فائدة الإخبار برفعه إليه إذاً وهو أمر معلوم يحصل لكل مؤمن؟!

ثم يقول: والتوفي في اللغة أخذ الشيء وافياً تماماً، ومن ثم استعمل بمعنى الإماتة قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر:٤٢]، وقال: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة:١١]، فالمتبادر في الآية: إني مميتك وجاعلك بعد الموت في مكان رفيع عندي.

فانظر إلى الإهمال المتعمد لبقية معاني التوفي! فلم يذكر منها إلا معنى الإماتة؛ لأنه الذي يوافق هواه ومذهبه، ثم يقتصر في الاستشهاد بالآيات على ما يفيد هذا المعنى، مع أن في الآية الأولى التي استشهد بها ذكر التوفي بمعنى الإماتة، قال تعالى: ﴿ وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر:٤٢]، ولكن الشيخ بترها بتراً، ولم يذكر إلا ما كان شاهداً له.

وهناك آية أخرى لم يرد التوفي فيها إلا بمعنى النوم وحده، وهو قوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [الأنعام:٦٠].

وليس المتبادر من لفظ التوفي هنا هو الإماتة إلا إذا قطعناه عما قبله وعما بعده أما إذا فهم في سياق الكلام فإنه يبعد جدًا أن يراد منه هذا المعنى؛ لأنه لا يتسق مع مكر الله باليهود المقابل لمكرهم بعيسى، ولا مع رفعه عيسى إليه وتطهيره من الذين كفروا؛ لأن مكر الله باليهود يجب أن يكون أمراً معاكساً لما قصدوه، وليس في موت عيسى ما يعاكس مقصودهم، لأن مقصودهم هو التخلص منه ومن دعوته، وكذلك رفعه إليه لا يجوز أن يكون رفع الروح أو المكانة، فإن ذلك أمر معلوم، وهو أيضاً عام لجميع الأنبياء،

بل لجميع المؤمنين، فلا يصح أن يكون هو مضمون البشارة، بل يجب أن يكون المراد رفعه كله كما تفيده كاف الخطاب في قوله: ﴿ وَرَافِعُكَ ﴾ [آل عمران:٥٥]، فإن مرجعها هو شخص عيسى لا روحه، وإلا لقال: (ورافع روحك إليّ)، وإذا تبين أن معنى رفعه إليه هو ضمه وإيواؤه إليه فلابد أن يكون رفعه حيّاً، إذ لا يعقل أن يرفعه ميتاً.

ثم يقول: وأما تطهيره من الذين كفروا فهو إنجاؤه مما كانوا يرمونه به أو يرومونه منه ويريدونه به من الشر، هذا ما يفهمه القارئ الخالي الذهن من الروايات والأقوال؛ لأنه هو المتبادر من العبارة، وقد أيدناه بالشواهد من الآيات، ولكن المفسرين قد حولوا الكلام عن ظاهره لينطبق على ما أعطتهم الروايات من كون عيسى رفع إلى السماء بجسده.

لا، بل تطهيره من الذين كفروا يكون بتخليصه من أيديهم وإفساد مكرهم عليهم، وذلك لا يكون بموته ودفنه في الأرض، بل برفعه حيّاً إلى السماء، لأن أعداءه كانوا يستطيعون أن يخرجوا جثته ويمثلوا بها كما فعلوا بمن شبه لهم، وبذلك لا يكون الله قد طهره منهم، ثم هل يستطيع هؤلاء الزاعمون لموت عيسى ودفنه أن يدلونا على واحد ممن شهد جنازته أو تولى دفنه، وهذه الروايات عن قتل عيسى وصلبه تملأ الأناجيل، وليس فيها رواية واحدة تقول: إنه مات ودفن، فأين كان أصحابه حينئذ؟! أليس فيهم من شهد هذا حتى يخبر به؟!

ثم ما معنى قوله: هذا ما يفهمه القارئ الخالي الذهن من الروايات؟! فكيف يراد منا أن نفهم القرآن بأذهان خالية من الروايات والأقوال؟ أليست هذه الروايات والأقوال هي الضوء الذي يكشف لنا معاني كلام الله عز وجل؟ وكيف يكون هذا هو المتبادر من العبارة وقد بيّنا أنه لا يجوز حمل الآية عليه ولا تفسيرها به؟ وليس كل متبادر من العبارة يكون مراداً، فكم من متبادر من اللفظ دلت السنة على خلافه، كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام:٨٢]، فقد فهم الصحابة رضي الله عنهم أن المراد بالظلم هنا المعصية، ولهذا فزعوا، وقالوا: أينا لم يظلم؟! فبيّن لهم النبي ﷺ أن المراد به الشرك.

وأما قوله: (وقد أيدناه بالشواهد من الآيات): فقد عرفت ما في شواهده، وأنها لا تشهد له.

وأما اتهامه المفسرين بأنهم حوّلوا الكلام عن ظاهره لينطبق على ما دلت عليه الروايات من كون عيسى رفع إلى السماء بجسده، فإذا سلمنا له أنهم حولوا الكلام عن ظاهره، وكان قصدهم من هذا التحويل هو أن يتفق مع الروايات الصحيحة في رفع عيسى حيًا ونزوله بعد ذلك ليقتل الدجال – إلخ –، فأيّ مطعن في هذا؟! وما مهمة العالم إذًا إذا لم يكن التوفيق بين دلالة القرآن وبين ما وردت به الروايات الصحيحة؟! وهل يراد منا أن نقطع ما أمر الله به أن يوصل، فنعزل السنن جانبًا، ولا نفهم القرآن بها، مع أنها البيان الهادي لدلالات القرآن ؟!

ثم اسمع ما ينقله عن أستاذه الإمام: يقول بعض المفسرين: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ [آل عمران:٥٥]: أي: منوّمك، وبعضهم: إني قابضك من الأرض بروحك وجسدك ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥] بيان لهذا التوفي، وبعضهم: إني أنجيك من هؤلاء المعتدين، فلا يتمكنون من قتلك، وأميتك حتف أنفك ثم أرفعك إليّ، ونسب هذا القول إلى الجمهور.

لقد ذكرنا الروايات الواردة عن السلف في معنى التوفّي عند تفسير الآية، وقلنا إن التوفّي بمعنى الموت لم يرد إلا في رواية عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهي لا تقاوم الروايات الكثيرة عنه في رفع عيسى حيًا، وكذلك رواية ابن إسحاق عن وهب بن منبه أن الله أماته ثلاث ساعات أو سبع ساعات ثم بعثه ورفعه حيًا، وأما الجمهور فعلى أن التوفّي بمعنى الإنامة، كما رواه ابن كثير عن الحسن البصري وغيره، وبذلك يظهر أن نسبة هذا القول: (وهو التوفي بمعنى إماتته حتف أنفه ثم رفعه) إلى الجمهور خطأ وقع فيه الأستاذ الإمام! وسكت عليه تلميذه المعجب به جدًا الأستاذ رشيد!

قال الأستاذ الإمام: (والطريقة الثانية: أن الآية على ظاهرها، وأن التوفي على معناه

الظاهر والمتبادر: وهو الإماتة العادية، وأن الرفع يكون بعده، وهو رفع الروح، ولا بدع في إطلاق الخطاب على شخص وإرادة روحه، فإن الروح هي حقيقة الإنسان، والجسد كالثوب المستعار، فإنه يزيد وينقص ويتغير، والإنسان إنسان، لأن روحه هي هي) (!)

ونحن نسأل: مَنْ من السلف قال بهذه الطريقة الثانية التي زعم أنها ظاهر الآية، وأن التوفي على معناه الظاهر المتبادر وهي الإماتة العادية؟! هذه طريقة غير معروفة عند علماء السلف، بل هم مجمعون [1] على أن عيسى رفع حيًا، حتى من فسّر منهم التوفي بمعنى الإماتة، قال: إن الله بعثه ثم رفعه.

أما هذه الطريقة فلم نسمع بها إلا في مدرسة السيد جمال الدين الأفغاني وتلميذه الأستاذ الإمام، وقد خرقوا بها إجماع الأمة، وضاهَوْا بها أقوال الملاحدة والفلاسفة في إنكار كل ما جاءت به السنن الصحيحة مما سيقع في آخر الزمان من ظهور الدجال وما يلابس ظهوره من فتن شداد ثم نزول عيسى ابن مريم عليه السلام وقتله الدجال - إلخ -.

ولقد ظن هؤلاء - وبئس ما ظنوا - أن تلك الأحداث التي وردت بها الآثار لون من الأساطير التي تجب محاربتها، فلجُّوا في إنكارها، وإذا ووجهوا بشيء من تلك الآثار لم تكن حجتهم إلا أنها أحاديث آحاد لا تصلح حجة على معتقد.

وكانت تلك بدعة أخرى ابتدعوها، فإن كثيراً من قضايا العقيدة في الإسلام ثابت بأحاديث الآحاد، كالرؤية والشفاعة والحوض والصراط وسؤال القبر ونعيم القبر وعذابه، بل ومن صفات الرب وأفعاله ما هو ثابت بتلك الآحاد، فيلزم هؤلاء - على قاعدتهم

---

(١) قال الحافظ في تلخيص الحبير (ص٣١٩): «وأما رفع عيسى عليه السلام فاتفق أصحاب الأخبار والتفسير على أنه رفع ببدنه حيًا». وقال في الفتح (٢٦٧/٦) عند باب ذكر إدريس: «إن عيسى رفع وهو حيٌّ على الصحيح» اهـ. قلت: وقال الإمام أبو حيان في تفسيره الصغير المطبوع على البحر المحيط (٤٧٣/٢): وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام حيٌّ في السماء. ونقل عن المفسر ابن عطية الغرناطي قوله: «وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى في السماء حيٌّ».

هذه- أن يلغوا كل هذه المعتقدات لأنها لم ترد من طريق قطعي، ثم لينظروا ماذا بقي لهم من عقائد الإسلام؟!

ثم أعجب لذلك التعليل الصوفي الفلسفي الذي يعلل به الأستاذ الإمام لإطلاق الخطاب على شخص وإرادة روحه، وهو أن: (الروح هي حقيقة الإنسان، وما الجسد إلا ثوب مستعار)، ولكننا نقول له: إنه لا يُعْهَد في خطابات الشرع ذلك التجريد، فهو حين يخاطب الأشخاص إنما يخاطبهم بوصفهم أشخاصاً لا أرواحاً، وإذا أراد خطاب النفس وحدها وجه إليها الخطاب، كقوله تعالى: ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴾[الفجر:٢٧-٢٨]،ولكنه حين يقول: ﴿ يا عيسى إني متوفيك ﴾ [آل عمران:٥٥] فإنه يعني عيسى كله، لا مجرد روحه.

ثم يقول الأستاذ الإمام: (ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان، أحدهما أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي، لأنه من أمور الغيب، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي، لأن المطلوب فيها هو اليقين، وليس في الباب حديث متواتر).

ونحن نقول: إن كل واحد من هذه الأحاديث ـ وإن كان حديث آحاد ـ إلا أنها قد رويت عن عدد كبير من الصحابة من طرق متعددة، فإذا ضم بعضها إلى بعض أفادت التواتر المعنوي، وهو يفيد القطع كالتواتر اللفظي، وقد مر بك كلام العلماء في تواتر هذه الأحاديث، وإجماع الأمة على القدر المشترك فيها، فلا تغتر بتلبيس هؤلاء.

ثم يقول الأستاذ الإمام: (وثانيهما تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسر رسالته على الناس، وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم، والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها والتمسك بقشورها دون لبابها وهو حكمتها وما شرعت لأجله) إلى أن يقول:

(فزمان عيسى على هذا التأويل هو الزمان الذي يأخذ الناس فيه بروح الدين والشريعة الإسلامية لإصلاح السرائر من غير تقيد بالرسوم والظواهر) ا.هـ.

فهل رأيت أغرب من هذا التأويل الذي تفتقت عنه عبقرية الأستاذ الإمام؟!! فهلا كلّف نفسه مرة أن يقرأ أحاديث النزول حتى لا يتورط في مثل هذا الكلام الذي يثير الضحك والسخرية معاً؟! وهل روح الشريعة وأسرارها وحكمها هي التي ستكسر الصليب وتقتل الخنزير وتقتل الدجال وتضع الجزية – إلخ – .

وكأن التلميذ الوفيّ قد أحس بما تورط فيه أستاذه، فعقب عليه بقوله: (هذا ما قاله الأستاذ في الدرس مع بسط وإيضاح، ولكن ظواهر الأحاديث الواردة في ذلك تأباه) .

ولكن يغلب عليه التعصب مرة أخرى لأستاذه والإصرار على متابعته في كل أخطائه فيقول: (ولأهل هذا التأويل أن يقولوا: إن هذه الأحاديث نقلت بالمعنى كأكثر الأحاديث، والناقل للمعنى ينقل ما فهمه) .

وكأن هذا التعليق من السيد رشيد أسوأ من تأويل أستاذه، فلم تنقل هذه الأحاديث بالمعنى كما زعم، بل أكثرها متفق في وصف الأحداث، إلا أن في بعضها زيادات وتطويلات ليست في البعض الآخر .

ثم الأدهى والأمر قوله : (كأكثر الأحاديث) ، فهو لا يكتفي بالطعن في أحاديث الباب، بل يريد أن يشكك في السنة كلها، فيزعم أن أكثرها مرويّ بالمعنى!! فيالله، كم يفعل الهوى بعقول الناس، وكم يجني التعصب لآراء الشيوخ على الحقائق الجلية، ولله في خلقه شئون !!!

ثم يقول صاحب المنار: (وسئل عن المسيح الدجال وقتل عيسى له، فقال: « إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها والأخذ بأسرارها وحكمها، وإن القرآن أعظم هاد إلى هذه الحكم والأسرار، وسنة الرسول ﷺ مبينة لذلك، فلا حاجة للبشر إلى إصلاح وراء الرجوع إلى ذلك) .

وليس بعجيب طبعاً على الأستاذ الإمام، وقد أوّل نزول ابن مريم بأنه ظهور أسرار الشريعة ومقاصدها (ولعله يقصد ما أظهره هو من ذلك!) أقول: ليس بعجيب أن يؤوّل الدجال بأنه رمز الخرافات والقبائح والدجل، وللأستاذ باع طويل في التأويل، بزّ فيه الأولين والآخرين، ولكنا أيضاً كنا نتمنى أن يقرأ أحاديث الدجال، وما اشتملت عليه من أوصاف ذلك الرجل، من أنه أعور عين اليمنى، وأنه جعد قطط، وأنه أزهر اللون، أشبه الناس به عبد العزى بن قطن -إلخ- حتى لا يتورط كذلك هنا كما تورط في شأن المسيح.

وإذا ساغ هذا التأويل الذي لا نظير له فيما نعلم إلا في تأويلات الباطنية والفلاسفة، فليفتح باب التأويل علي مصراعيه، وليؤول كل أحد ما شاء، فقد سن لهم الأستاذ الإمام، ولعل هذا هو عنده الدين الذي ظهر فلا حاجة في نظره للبشر إلى إصلاح وراء الرجوع إلى ذلك.

وهنا يسكت التلميذ الوفي أيضاً، وهو ذلك المحدّث السلفي! فلا يستطيع أن يهمس في أذن أستاذه بكلمة ترده إلى صوابه، ثم يريد هؤلاء منا بعد ذلك أن نصدقهم فيما يقولون من ذلك المسخ والتشويه للنصوص الواضحة الجلية.

ويقول الأستاذ رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى من سورة النساء: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨].

وأما قوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨] فقد سبق نظيره في سورة آل عمران، وذلك قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: ٥٥] روي عن ابن عباس تفسير التوفي هنا بالإماتة كما هو الظاهر المتبادر، وعن ابن جريج تفسيرها بأصل معناها، وهو الأخذ والقبض والمراد منه ومن الرفع إنقاذه من الذين كفروا بعناية من الله الذي اصطفاه وقربه إليه، قال ابن جرير بسنده عن ابن جريج: (فرفعه إياه توفيه إياه وتطهيره من الذين كفروا) أي: ليس المراد

الرفع إلى السماء لا بالروح والجسد معاً ولا بالروح فقط، فهل تصدق- أيها القارئ- أن هذا كلام الشيخ رشيد رضا علامة زمانه! وفريد عصره وأوانه!! يرجع فيه إلى ترديد النغمة السابقة من التشبث بظاهر كلمة التوفي، وينقل عن ابن عباس تفسيرها بالإماتة دون أن يبين لنا معنى الإضراب في قوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾، وما يقتضيه من إثبات الرفع مكان ما ادعاه اليهود من القتل والصلب، وأن ذلك يدل صريحاً على رفعه حيّاً؛ إذ لو كان الذي حصل بديلاً للقتل هو الإماتة لذكرها هنا، وقال (بل أماته الله)، فإن المقام مقام بيان ما حصل له مما يبطل زعم اليهود، ثم هو يحمل كلام ابن جرير على معنى يتفق مع ما يريده من نفي الرفع، فيقول: إن المراد منه (التوفي)، ومن الرفع إنقاذه من الذين كفروا، ويعلق على عبارة ابن جريج بقوله: أي ليس المراد الرفع إلى السماء - إلخ-. وهذا خطأ في فهم العبارة لا ندري إن كان متعمداً أو غير متعمد، والعبارة تريد أن تفسر التوفي بالرفع، يعني أن قوله: ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥] عطف تفسير لقوله ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾، وذلك لأن لفظ التوفي لما كان محتملاً مجملاً بيّن المراد منه بقوله: ﴿ رَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥].

ثم يقول -عفا الله عنه-: (وعلى القول بأن التوفي الإماتة لا يظهر للرفع معنى إلا رفع الروح) .

سبق أن الذين فسروا التوفي بالإماتة منهم من جعل في الكلام تقديماً وتأخيراً، كقتادة، ومنهم من قال: إنه أماته ثم بعثه ورفعه حيّاً، ولم يقل أحد من السلف إطلاقاً أن الرفع للروح وحدها .

ثم يقول: (والمشهور بين المفسرين وغيرهم أن الله تعالى رفعه بروحه وجسده إلى السماء، ويستدلون على هذا بحديث المعراج، إذ فيه أن النبي ﷺ رآه هو وابن خالته يحيى في السماء الثانية، ولو كان هذا يدل على أنه رفع بروحه وجسده إلى السماء لدل أيضاً على رفع يحيى وسائر من رآهم من الأنبياء في سائر السموات، ولم يقل بهذا أحد) .

ولا أعرف أن أحداً استدل على رفع عيسى بروحه وجسده بحديث المعراج، ولكن الشيخ رشيد يريد أن يوهمنا أن الرفع بالجسد لا سند له إلا حديث المعراج، فإذا استطاع أن يبطل هذا السند بطل ما انبنى عليه، ولكنا نقول له: إن المسألة لا تحتاج إلى مثل هذه السنادات الواهية، بل سندها الأقوى هو صريح الرفع في القرآن والنزول بالسنة المتواترة.

ثم يقول: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [النساء: ١٥٩]، أي: وما من أهل الكتاب أحد ﴿ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ [النساء: ١٥٩]، أي: ليؤمنن بعيسى إيماناً صحيحاً، وهو أنه عبد الله ورسوله وآيته للناس ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء: ١٥٩]، أي: قبل موت ذلك الأحد الذي هو نكرة في سياق النفي فيفيد العموم، وحاصل المعنى: أن كل أحد من أهل الكتاب عندما يدركه الموت ينكشف له الحق في أمر عيسى وغيره من أمر الإيمان، فيؤمن بعيسى إيماناً صحيحاً، فاليهوديّ يعلم أنه رسول صادق غير دَعيٍّ ولا كذاب، والنصراني يعلم أنه عبد الله ورسوله فلا هو إله ولا ابن الله.

قد علمت أن الآية فيها وجهان، أحدهما هذا الذي ذكره الشيخ رشيد وهو أن يكون الضمير في قوله: ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء:١٥٩] لذلك الأحد اليهودي أو النصراني، وهو أضعف الوجهين في الآية، ولكن الشيخ رحمه الله نصره ورجّحه لأنه يوافق مذهبه في موت عيسى، فقال: إنه هو الذي يتفق مع العموم المستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ [النساء: ١٥٩]، لأنه نكرة في سياق النفي، وهي تفيد العموم، ورغم هذا فنحن نقول له إن هذا الرأي ضعيف جدًا وإن احتمله أسلوب الكلام، لعدة وجوه منها: أنه مخالف لما ذهب إليه جمهور الصحابة في أن الضمير لعيسى، وقد حكى ابن جرير عن ابن عباس وأبي هريرة الجزم بذلك، حتى إن أبا هريرة لما روى حديث نزول عيسى استشهد له بهذه الآية. ومنها أن الضمير المجرور قبله في قوله (به) راجع إلى عيسى قطعاً، فوجب أن يعود الضمير هنا أيضاً إليه لئلا يتفكك الكلام، ومنها أن هذا الإيمان المخبر عنه في الآية إيمان لا ينفع أصحابه ولا يخرجهم من الكفر ولا ينجيهم

من النار، فلا فائدة في الإخبار به، والإيمان في الآية مطلق، فينصرف إلى حقيقته الشرعية، وهو الإيمان المعتد به الذي يخرج به صاحبه من الكفر .

ثم يقول: (وذهب بعضهم إلى أن المراد أن كل أحد من أهل الكتاب يؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وهذا مبنيّ على القول بأنه لم يمت، وأنه رفع إلى السماء قبل وفاته، وهم الذين أوّلوا قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥]، وهم على هذا يحتاجون إلى تأويل النفي العام هنا بتخصيصه بمن يكون منهم حيًا عند نزوله، فيقولون: المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب الذين ينزل المسيح من السماء إلى الأرض وهم أحياء إلا ليؤمنن به ويتبعه، والمتبادر من الآية المعنى الأول، وهذا التخصيص لا دليل عليه، وهو مبنيّ على شيء لا نص عليه في القرآن حتى يكون قرينة له، والأخبار التي وردت فيه لم ترد مفسرة للآية) .

وهنا نرى الشيخ يعمد إلى توهين هذا الرأي الذي يجعل الضمير لعيسى، فيقول: (وذهب بعضهم)، مع أنه يعلم أنه مذهب الجمهور، وقد نص ابن جرير وغيره على أنه الصحيح المعوّل عليه – كما قدمنا –، ثم يلمز الذين ذهبوا إلى هذا الرأي بأنهم الذين أولوا قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥]، فأين هو تأويلهم في الآية؟ أليس لفظ التوفي مشتركًا بين التوفي بالموت والتوفي بالنوم كما ورد بذلك القرآن؟ فإذا حمل اللفظ المشترك على أحد معانيه الذي يقتضيه السياق، أيكون ذلك تأويلاً؟! وهَبْ أنك سميته تأويلاً، فهل تأويلهم أحسن أم تأويلكم أنتم لفظ الرفع الصريح بأنه رفع الروح أو رفع المكانة، إن التأويل المذموم المرذول يعرفه الشيخ رشيد مثل تأويلات المتكلمين لآيات وأحاديث الصفات، ومثل تأويلات أستاذه الإمام لنزول عيسى بأنه ظهور روح الشريعة وأسرارها، ولظهور الدجال بأنه انتشار الدجل والقبائح – إلخ– .

ثم يقول: إنهم يحتاجون إلى تأويل النفي العام هنا بتخصيصه بمن يكون منهم حيًا عند نزوله.

والحق أنه لا تأويل ولا تخصيص في النفي العام؛ بل هو على عمومه، ولكن في زمان خاص دلت السنة الصحيحة على تخصيصه، فما من أهل الكتاب أحد في هذا الزمان إلا ليؤمنن بعيسى؛ لأنه سيضع الجزية ولا يقبلها كما ورد في أحاديث نزوله، فلا يقبل من أحد إلا الإيمان أو السيف. فقوله: « وهذا التخصيص لا دليل عليه » إمعان منه في إنكار الآثار الصحيحة المتواترة التي دلت عليه، وليس بلازم أن يكون تخصيص القرآن في القرآن، فكم من عمومات في القرآن خصصتها السنة الصحيحة، مثل[1]: « لا وصية لوارث »،[2] وغيره كثير.

وأخيراً: لو كان الشيخ رشيد -رحمه الله- حيّا لسألته: لمصلحة من سلكتَ أنت وشيخك هذا الطريق الوَعِر؟ وما الثمرة التي جناها العالم الإسلامي من إنكاركم أمراً مجمعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة تضافرت عليه عشرات الآثار؟

---

(١) ورد من حديث جماعة من الصحابة، منهم: عليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن عمرو، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وجابر بن عبد الله، وأبو أمامة الباهلي، وغيرهم. وسنكتفي برواية أبي أمامة رضي الله عنه.
رواها أبو داود (٣٥٦٥) والترمذي (٢١٢٠) وابن ماجة (٢٧١٣) وأحمد (٥/٢٦٧) والبيهقي (٦/٢٦٤) والطيالسي (١١٢٧) وسعيد بن منصور في سننه (٤٢٧) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وصححه الألباني بشواهده في الإرواء (٦/٩٥)، بل نص على تواتره هو والإمام السيوطي من قبله.

(٢) فهذا الحديث مخصص للعموم الذي أفاده قوله تعالى: ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين ﴾ الآية. (خ).

رد مؤسس أنصار السنة
على الشيخ شلتوت

لقد كتب فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي إمام أنصار السنة – رحمه الله – عدة مقالات في مجلة (الهدي النبوي) رد بها على فتوى لفضيلة الشيخ محمود شلتوت رحمه الله، كانت قد نشرتها مجلة (الرسالة) في العدد (٤٦٢)، وملخص هذه الفتوى أن كلمة (توفى) وردت في القرآن كثيراً بمعنى الموت، حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها .

وأن ما يعتمد عليه جمهور المفسرين في رفع عيسى ونزوله:

١– على روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافاً لا مجال معه للجمع بينها، وأنها من رواية كعب الأحبار و وهب بن منبه .

٢– على حديث مروي عن أبي هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى، وإذا صح فهو حديث آحاد ومثل هذه الأحاديث لا تصلح حجة في باب الاعتقاد .

٣– على ما جاء في حديث المعراج من أن محمداً ﷺ رأى عيسى ويحيى في السماء الثانية، وأنه يكفينا في توهين هذا المستند ما قرره كثير من شراح الحديث في شأن المعراج، وأن اجتماع محمد ﷺ كان روحيًا لا جسميًا.

وخلص الشيخ شلتوت من كلامه إلى النتائج الآتية :

١– أنه ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مستند يصلح لتكون عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء، وأنه حي إلى الآن فيها، وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض.

٢– أن كل ما تفيده الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه أجله ورافعه إليه وعاصمه من الذين كفروا، وأن هذا الوعد قد تحقق، فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه، ولكن وفاه الله أجله ورفعه اليه .

٣– أن من أنكر أن عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء وأنه حي فيها إلى الآن وأنه سينزل منها آخر الزمان فإنه لا يكون منكراً لما ثبت بدليل قطعي، فلا يخرج عن إسلامه، ولا ينبغي أن يحكم عليه بالردة، بل هو مسلم مؤمن، إذا مات فهو من المؤمنين، يصلى عليه كما يصلى علي المؤمنين، ويدفن في مقابر المؤمنين .

وهذا هو ملخص تلك الفتوى التي صدرت عن تلميذ آخر من تلاميذ تلك المدرسة الأفغانية . ومع أن فيما كتبناه سابقاً في الرد على صاحب المنار ما يكفي للرد عليها إلا أننا رأينا أن نتحف قراء هذه الرسالة بذلك الرد العلمي البليغ الذي كتبه أستاذنا الشيخ حامد الفقي– رحمه الله–.

وبما أن الرد واسع مستفيض لا تتسع له هذه الرسالة فقد رأينا أن نجتزئ منه بأهم ما فيه، مع إحالة القارئ على الأعداد (١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠) من مجلة الهدي النبوي من السنة السادسة إذا أراد الاطلا ع على الرد بطوله.

قال رحمه الله : وقبل أن أتكلم في الموضوع أقول كلمة صريحة أود من كل نفسي أن يتفطن لها إخواننا الذين يكتبون في هذا الموضوع وحوله –خصوصاً إذا جاءت الأسئلة من الهند–، ذلك أن الذين يُكثرون اليوم من الإلحاح واللجاجة في إنكار رفع عيسى ونزوله هم فرقة القاديانية [١] الكافرة المارقة، التي تحرف الأحاديث الواردة في نزول

---

(١) وهي فرقة كافرة وضيعة، ودسيسة من دسائس الإنجليز، وادعى إمامهم غلام أحمد –قاتله الله – أنه هو المسيح الموعود، كما أنكر وجود الملائكة والجن، ونزول ملك الموت، ونزول جبريل على رسول الله ﷺ، وقال: إن النبوة قد انقطعت. وادعى أن ظواهر الكتاب والسنة مصروفة عن ظواهر ... إلخ، وقد أكفرهم علماء السنة، وردوا على هذه النحلة الباطلة فأجادوا .

عيسى عن معناها العربي، وتجعلها حجة لدجالها الكذاب الخبيث غلام أحمد القادياني، الذى يدّعى أنه نبي يُوحى إليه، وأن له قرآناً تتلوه هذه الشرذمة الخاسرة، هو المثل الأظهر للسخف والكذب على الله وعلى العقل والأخلاق.

وتحاول هذه الشرذمة الضالة بكل ما تستطيع من لف ودوران واحتيال أن تحصل على كلمات لعلماء المسلمين لتتخذها شبكة تصيد بها سفهاء الأحلام وصغار العقول، مع ما تبذله لهم من فُتات الدنيا وحثالتها لتوقعهم في شرك الكفر بأن محمداً ﷺ خاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده، ولا كتاب ينزله الله بعد كتاب القرآن الذي جمع الله فيه كل ما يحتاج إليه البشر من الهدى والرحمة في الدنيا والآخرة، ليصدّقوا سخف وكذب الدجال غلام أحمد، عليه من الله ما يستحقه ومن أغواهم فاتبعوه على ضلاله، وإن أشد ما أخشاه أن تكون هذه الفئة المنبوذة قد استخدمت فتوى الأخ الشيخ شلتوت فيما تهوى من الدجل والباطل [1]، بل أخشى أن تكون هي التي دست السائل وصاغت سؤاله على هذا الأسلوب اللئيم.

ثم أقول: أولاً: إن الله سبحانه لم يذكر في الكتاب الكريم في حق نبي من الأنبياء مثل الآيات والنصوص التي ذكرها في حق عيسى عليه السلام، فما ذلك إلا لأن هذا الشأن لعيسى خاصة، وأن سائر الأنبياء لا يشاركونه في ذلك، وإن لم تكن هذه الآيات دالة على خصوصية عيسى وأنه كغيره من إخوانه الأنبياء في الموت فلا معنى لهذه النصوص ولا فائدة!

وإذا جوّزنا ذلك واطّرَحْنا هذه النصوص وحملناها على مثل ما جاء في موت إخوانه الأنبياء فتحنا بذلك باباً من التأويل الباطل، كما فتح الباطنيون[2] هذا الباب ليخرجوا منه

---

(١) لقد حصل ما توقعه الشيخ رحمه الله، فقد نشرت جريدة البشرى القاديانية التي تصدر في بيروت في عدديها ٥، ٦ أن الأزهر يعترف بوفاة المسيح الناصري.

(٢) وهي فرقة منحلة من الفرق الضالة الملحدة التي تجيز نكاح الأمهات والأخوات وترك الصلوات واستحلال المحرمات والطعن على سلف الأمة وانتقاص قدرهم وشأنهم، أراح الله العباد والبلاد منهم.

عن كل التشريع وينحلّوا عن كل الأوامر والنواهي.

لم يقل الله سبحانه في حق سيد المرسلين محمد ﷺ: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيهِ ﴾ [النساء: ١٥٨] ولا نحوها مما قاله في عيسى، بل قال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤]، ﴿ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤].

ثانياً: كلمة (توفى) معناها في اللغة العربية من استيفاء الحق وافياً، أي: كاملاً لا نقص فيه، قال في القاموس: (أوفى فلاناً حقه: أعطاه إياه وافياً كوفّاه ووافاه فاستوفاه وتوفاه) ا.هـ.

وقد جاءت في القرآن الكريم على معنى استيفاء حظ الإنسان وعمله اليومي، فيكون بعده الليل يتوفى الله فيه الأنفس. وعلى معنى استيفاء حظ الإنسان وعمله في حياته كلها، فيكون بعده الوفاة بمعنى الموت، قال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر:٤٢]، يعني: ويتوفى أيضاً التي لم تمت في منامها، ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر:٤٢]، فكلمة توفى استعملت هنا بالمعنيين، وقُرن بكل منهما ما يدل على المقصود منه، فيدل على أنها لا تدل بمطلقها على الموت، فلم يصح لفضيلة الأخ الشيخ شلتوت دعوى أن المتبادر من كلمة: توفى: الموت، وهي الدعوى التي بنى عليها أنه ليس في الآيات القرآنية ما يدل على رفع عيسى ونزوله.

ثم نقول للعلامة المحقق- وفقنا الله وإياه- إن في القرآن نصّاً صريحاً بأن عيسى لم يمت، اقرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء ١٥٧: ١٥٨]، ما معنى هذا الإضراب بعد هذا النفي؟ وماله هنا لم يذكر الوفاة ثم يقول: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾

[النساء:١٥٩] هذا- فيما أعتقد- صريح في الدلالة على أن عيسى لم يمت بعد، وأن الله طهَّره من أيدي اليهود الأثيمة، ورفعه الله إليه بروحه وجسمه، ثم قول الله تعالى خطاباً لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[آل عمران:٥٥]، أليست كاف الخطاب في الآية كلها راجعة إلى عيسى الذي لما أحس بكفرهم قال: من أنصاري إلى الله قال له الحواريون: نحن أنصار الله. وأشهدوه على أنهم مسلمون.

فهل روح عيسى هي التي أحست بكفر اليهود وهي التي قالت للحواريين وأجابها الحواريون؟! أم أن عيسى بروحه وجسمه هو الذي أحس وخاطب وأجيب؟! فإن حملت: ﴿رافعك﴾ [آل عمران:٥٥] على معنى رافع روحك هل يستقيم نظم الآية على الأسلوب العربي المبين؟! وهل يُعرف في اللغة العربية أن يسند الفعل إلى كاف الخطاب العائد على مخاطب سابق في اللفظ ويراد بها الروح لا الشخص الذي هو مجموع الجسم والروح؟! وهل يكون لرفع روحه خصوصية تستدعي أن يسجلها الله ويمتنَّ عليه بها، وغيره من الأنبياء كذلك، بل والمؤمنين أيضاً؟! وإذا كان المراد الروح، فلماذا لم يقل الله: ورافع روحك إليَّ؟

ثم نقول لفضيلة الشيخ شلتوت ومن يقوله بقوله: ما الذي يدعونا إلى كل هذا التأويل وتحميل الآيات ما لا تحتمله، ورد الأحاديث المتواترة- التي سنوردها مستوفاة البحث بعد إن شاء الله ألأن هذا يخرق سنة الله الكونية؟!! فعيسى من أول وجوده آية، بل هو وأمه آية للعالمين: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون:٥٠]، وإذا جرينا على ذلك أنكرنا كل ما أخبر الله به من معجزات الأنبياء التي خرق الله بها سننه الكونية، وجعل ذلك آية على صدق رسله- عليهم الصلاة والسلام-، وأعتقد أن هذا لا يرضاه الشيخ شلتوت ولا إخوانه المؤمنون.

وإذا آمنا- وواجب أن نؤمن كل الإيمان- بالمعجزات، وآمنا أن من أعظم الجرائم إنكارها وتأويلها على غير ما أخبر الله بظاهر القول، وآمنا بمعجزة رسولنا الأكرم سيدنا

محمد ﷺ فيما صنع الله له من عروجه بجسمه وروحه المعبر عن ذلك بقوله (عبده)، واطمأنت أنفسنا لذلك ولم نجد له حرجاً فيها، وسلّمنا له كل التسليم، لأن الله أخبر به في كتابه إجمالاً، والسنة الصحيحة الثابتة فصّلته تفصيلاً: فما يحملنا على تأويل الآيات التي يمتن الله فيها على عيسى بأنه خصه بما لم يعطه لغيره، وأنه رفعه الله إليه وطهّره من الذين كفروا؟!

أوَلأن الشيطان قد اتخذ ذلك سبيلاً إلى فتنة الناس وإيقاعهم في الغلو الذي قالوا به على الله غير الحق، فكفروا بعيسى وأمه، وكانوا أشد الناس عداوة لعيسى وكفراً به، فلأجل ذلك ننكر الرفع الثابت في القرآن والسنة؟! إن كان ذلك كذلك فإن ولادة عيسى التي جعلها الله آية عظيمة كذلك استغلها الشيطان واتخذ منها مصيدة صاد بها أولئك الكافرين فزعموا أنه ابن الله، فهل ننكر كذلك آية ولادة عيسى ابن مريم بدون أب كما أخبر الله؟!!

وأمثال ذلك من أصول الدين وفروعه كثيراً ما وسوس الشيطان للناس فألحدوا فيه وزاغوا به، والله يقول في وصف القرآن: ﴿ **يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً** ﴾ [البقرة:٢٦] ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ**﴾ [آل عمران:٧] ،وأمثال ذلك كثير لا يحصى ا.هـ.

رد الغماري على شلتوت

وتتميماً للفائدة، وحتى لا يكون لمنكر عذر: رأينا أن ننقل للقارئ هنا نُبَذاً من رد عبد الله الغماري على الشيخ شلتوت، فإن هذا الرجل وإن كان قبوريًا معطّلاً من أشياع زاهد الكوثري، إلا أنه في هذا الرد قد أبدع وأجاد ، قال بعد أن استوعب كل ماورد من أحاديث وآثار وذكرها بطرقها وأسانيدها[1] : (فهذه ستون حديثاً يرويها عن النبي ﷺ

---

(١) إقامة البرهان.

ثمانية وعشرون صحابيًا وثلاثة تابعيين بألفاظ مختلفة وأسانيد متعددة، كلها تصرح بنزول عيسى عليه السلام تصريحًا لا يحتمل تأويلاً ولا روغانًا، فهل يجوز للمتعلم- بل العالم- أن يشطب على هذه الأحاديث بجرّة قلم ويقول عنها ما قاله صاحب الفتوى؟).

ثم يقول: وكلامه مع إيجازه جامع لعدة أغلاط:

الأول: قوله في آية النساء:(وقد فسرها بعض المفسرين- بل جمهورهم- بالرفع إلى السماء): يفيد أن من المفسرين من فسَّرها بغير الرفع، وهذا غير صحيح! فإن المفسرين متفقون على القول برفع عيسى إلى السماء، ووافقهم من قال بموته أيضًا، وهما وهب ابن منبه وابن حزم، ودونك كتب التفسير، فإنك واجد فيها ما ذكرناه، لا ما زعمه صاحب الفتوى.

الثاني: قوله (على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال): عبر بالروايات إشارة إلى أنها ليست عن النبي ﷺ، وهذا غير صحيح، بل ما عبر عنه بالروايات كله أحاديث مرفوعة لا مقطوعة، كما علم مما تقدم.

ولم يكن العلماء ليُجْمِعُوا على اعتقاد نزول عيسى اعتمادًا على روايات لم ترفع، وهم أنفسهم مجمعون على أن المغيبات لا يُعْمَل فيها إلا بما صح عن المعصوم، كما نبه عليه غير واحد منهم.

الثالث: قوله: (وهي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافًا لا مجال معه للجمع بينهما) وهذا غير صحيح، فإن تلك الأحاديث أو الروايات- على حد تعبيره- كلها متفقة على الإخبار بنزول عيسى، وأنه يقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب- إلخ- ما جاء فيها-، غاية ما في الأمر أن بعضًا منها يُفَصِّلُ وآخر يُجْمِلُ وبعضًا يوجز وآخر يطنب، وهذا كما يفعل القرآن العظيم، إذ يورد القصة الواحدة في سور متعددة بأساليب مختلفة يزيد بعضها على بعض، بحيث لا يمكن جمع أطراف القصة إلا بقراءة السور التي ذكرت فيها. فلعل صاحب الفتوى ظن مثل هذا التخالف

الذي يقوي شأن الحديث ويدل على تعدد مخارجه تعارضاً، فأخطأ، وأضعف خطأه حيث ادعى أنه لا مجال معه للجمع بينها، وذلك أنه على فرض وجود تعارض فالجمع ممكن لو أعمل فكره وأمعن نظره وأخلص في بحثه، لكنه أرسل قوله بتعذر الجمع دعوى تتعثر في أذيال الخجل.

الرابع: قوله: (وقد نص على ذلك علماء الحديث)- يعني أنهم نصوا على الاضطراب وتعذر الجمع- وهذا غير صحيح!!! فعلماء الحديث نصوا على التواتر لا الاضطراب! وعلى وجوب اعتقاد ما تضمنه لا على رده بدعوى اضطراب وتعذر جمع موهومين!

الخامس: قوله: (وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار) وهذا غير صحيح! فلقد ذكرنا ستين حديثاً من طرق أحد وثلاثين شخصاً، ليس فيهم وهب ولا كعب! أفليست هذه الدعوى وغيرها في كلامه دلائل على أنه ما أخلص في بحثه؟!

السادس: قوله: (وثانياً: على حديث مرويّ عن أبي هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى). هذا غلط من وجهين:

الأول: أن المفسرين وغيرهم لم يستندوا في القول بنزول عيسى إلى حديث أبي هريرة وحده، بل إلى الأحاديث الكثيرة المتعددة التي صرحوا بأنها متواترة.

الثاني: أن حديث أبي هريرة لم يقتصر على الإخبار بنزول عيسى، بل أخبر مع ذلك أنه يقتل الخنزير والدجال ويكسر الصليب ويدعو الملل كلها إلى الإسلام، ودونك أحاديث أبي هريرة التي أوردناها، فهي ناطقة بكل ذلك.

السابع: قوله: (وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد) هذا غلط من وجهين أيضاً:

الأول: أن غرضه بقوله: (وإذا صح هذا الحديث) التشكك في صحته كما يدل عليه سياق الكلام وروح الفتوى، وحينئذ فالصحيح ـ عربيةً ـ استعمال إنْ الشرطية؛ لأنها تدل على الشك، أما استعمال إذا فغلط، لأنها مختصة بالمتيقن والمظنون.

والثاني: قوله: (فهو حديث آحاد)، وهذا غلط لا يحتاج إلى بيان، لأنه واضح مما تقدم ومما يأتي إن شاء الله.

الثامن: قوله: (وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة)، وهذا غير صحيح، وبيان ذلك أن العلماء اختلفوا في خبر الواحد، هل يفيد الظن أو العلم على قولين:

الأول: أنه إنما يفيد الظن فقط، وإلى هذا ذهب الجمهور، ثم اختلفوا؛ فذهب أكثرهم إلى أنه لا يفيد العلم، سواء انضمت إليه قرائن أم لا، وذهب الآمدي وابن السبكي وغيرهم إلى أنه يفيد العلم بانضمام قرائن إليه، قال السيد الشريف: هذا هو المختار، وكذا قال الحافظ ابن حجر في شرح النخبة [1].

الثاني: أن خبر الواحد العدل يفيد بنفسه العلم اليقيني النظري من غير انضمام قرينة، وإلى هذا ذهب أحمد بن حنبل، وحكاه ابن خويز منداد البغدادي المالكي عن مالك ابن أنس، واختاره، وأطال في تقريره في كتاب له في أصول الفقه، وحكاه ابن حزم[2] الحافظ في كتاب «الإحكام» عن الحارث بن أسد المحاسبي، وداود بن عليّ الأصبهاني إمام أهل الظاهر، والحسين بن عليّ الكرابيسي، قال: وبه نقول، ثم اختلفوا، فقال أحمد- في أحد قوليه-، وابن حزم، وغيرهما: حصول العلم بخبر الواحد العدل مطرد، وقال آخرون: لا يطرد. فجملة الأقوال في خبر الواحد أربعة، وعلى القول الثاني المختار فالخبر المحتف بالقرائن أنواع: حديث الشيخين، والحديث المستفيض -ويسمى: المشهور-، والحديث المسلسل بالحفاظ الأئمة كمالك وأضرابه، فكل واحد من هذه الأحاديث يفيد العلم كما يعلم من محلِّه.

إذا تقرر هذا فاعلم أن الذين يرون خبر الواحد مفيداً للعلم يقولون إنه يفيد العقيدة

---

(١) شرح النخبة (ص٣٧، ٣٨).

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (١/١١٩ وما بعدها).

كما هو واضح، ولذا كان الإمام أحمد يستند في كثير من الصفات والعقائد السمعية إلى أحاديث آحاد صحيحة، وكذلك يفعل ابن حزم في كلامه على العقائد، بل هذا هو مقتضى صنيع المحدثين كالبخاري ومسلم وابن خزيمة وأصحاب السنن والحاكم وغيرهم، ومما ذكر يتبين لك أن الإجماع الذي حكاه صاحب الفتوى غير صحيح!

التاسع: قوله (ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات): أي أن العلماء أجمعوا على أنه لا يصح الاعتماد على أحاديث الآحاد في شأن المغيبات، كذا قال! وهي دعوى أوسع من الغبراء! وأكبر من أن تظلها الخضراء! فكيف تَحمّل تبعتَها صاحبُ الفتوى على ضعفه! لم يقل أحد من العلماء قبل هذا الوقت لا من المحدثين ولا من الفقهاء ولا من الأصوليين ولا من المتكلمين إن حديث الآحاد لا يعتمد عليه في المغيبات، بل الإجماع منعقد على ضد ذلك، فانظر كتب السنة على اختلاف أنواعها من صحاح وسنن ومسانيد ومعاجم وأجزاء وكتب التفسير وكتب السير والمعجزات والخصائص وكتب الملاحم وأشراط الساعة وكتب الترغيب والترهيب... تجدها ملأى بأحديث الآحاد في شأن المغيبات من ثواب وعقاب وإخبار عن أشياء ماضية وآتية وغير ذلك، وشراح الحديث متفقون على قبول هذه الأحاديث والاستنباط منها وعدّها من أعلام النبوة وتأويل ما أشكل ظاهره منها والجمع بين متعارضها.

وهكذا يستطرد هذا الرجل في تفنيد فتوى الشيخ شلتوت كلمة كلمة حتى يدعها أنقاضاً تتهاوى، ثم يقول ملخصاً:

باب في مناقشة ألفاظ الفتوى

وهي منشورة في مجلة الرسالة، ويلاحظ أولاً بأن السؤال المنشور في صدر الفتوى سأل صاحبه عن نظر القرآن الكريم والسنة المطهرة في عيسى عليه السلام، هل هو حي أو ميت؟ إلخ.

والسائل– رغم كونه قاديانيًا لا يؤمن بالسنة– طلبها في سؤاله سترًا لموقفه وإتمامًا لحيلته، لكن صاحب الفتوى لم يحسب للسنة النبوية حسابًا، ولم يتعرض لها في فتواه إلا رادًا أو منكرًا، وقصر كلامه في عيسى عليه السلام على ثلاث آيات من القرآن في ثلاث سور منه، بانيًا على ذلك ما اشتهاه من إنكار نزول عيسى وحياته ورفعه، فأخطأ من عدة وجوه:

١ – أحدها: أنه لم يُوَفِّ السؤال حقه، وذلك بعدم تعرضه للسنة.

٢ – ثانيها: أنه ترك آيات من القرآن تعرضت لحياة عيسى ونزوله وغض نظره عنها لأنها تخالف شهوته.

٣ – ثالثها: أنه أقدم على تفسير ما أورده من الآيات من غير أن يكون عنده علم بما ورد عن النبي ﷺ فيها مما يخالف ما قال، مع أنه لا خلاف بين العلماء أن أول ما يجب على المتكلم في تفسير القرآن أن ينظر: هل ورد عن النبي ﷺ أو عن أصحابه شيء؟ فإن ورد لم يعدل عنه إلى غيره.

٤ – رابعها: أنه تجرأ جراءة عظيمة حيث أعرض عن السنة إعراضًا تامًا ولم يذكرها إلا عند ذكر الطرف المقابل الذي لم يرتض هو قوله، وهذا مسلك لا يُشَرِّفُ مسلمًا، لأنه مخالفة صريحة لما اتفقت عليه أدلة النقل والعقل من وجوب طاعة رسول الله ﷺ واتباع كلامه؛ لأن الله فرض ذلك وجعل رسوله حجة على عباده.

لكن صاحب الفتوى لا يبالي بالحديث في كتبه ومقالاته، فلا يستدل فيها إلا بالقرآن فقط، حاملاً لآياته على الغرض الذي يشتهيه، أو محملاً لها إياه إن لم تحتمله، أما السنة النبوية فلا يعرض لها إلا رادًا بالتضعيف أو منكرًا بالتأويل.

وبعد هذا ننتقل إلى الفتوى، فنجد صاحبها يدّعي ان القرآن الكريم عرض لعيسى عليه السلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه في ثلاث سور.

ونهاية شأن عيسى مع قومه هي التكأة التي بنى عليها صاحب الفتوى ما أراده، فهو

يريد بها أن عيسى عليه السلام له مع قومه بدء ونهاية كسائر الرسل، وقد عرض الله لنهايته مع قومه كما عرض لنهاية الرسل مع أقوامهم، وإذاً فلا حياة له ولا رفع ولا نزول، هذا مرمى كلامه، كشفْنا عنه وأوضحْناه.

لكن فاته أن الذي أُنْزِلَ عليه القرآن هو الذي أخبر بالحياة والرفع والنزول كما أخبر بها منزل القرآن أيضاً، وفاته أن نهاية شأن عيسى مع قومه لا تحظر على الله أن يفعل ما هو جائز عليه من رفع عيسى حيّاً وإنزاله في آخر الزمان كما لم يحظر اعتياد ولادة الطفل من أبوين أن يخلق الله عيسى من غير أب، وربك على كل شيء قدير، وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ آيةً﴾ [المؤمنون:٥٠]، فالتشبث بالسنن الكونية والحكم بها على خالقها قصور في العقل ونقص في الإدراك. ا.هـ.

ولنقتصر على هذا القدر من رد الغماري، فإنه كاف في تحقيق ما قصدنا إليه من تهافت مذهب هؤلاء المنكرين لرفع عيسى حيّاً ونزوله في آخر الزمان، وأن غاية ما يتشبثون به هو ظاهر لفظ التوفي في قوله ﴿إنّي متوفّيك﴾ [آل عمران:٥٥]، مع أن الآية نفسها تنفي أن يكون هذا الظاهر مراداً -كما قدمنا- لأنه عطف على التوفي الرفع إليه، ومعلوم أن الرفع لا يجامع التوفي بمعنى الموت، فوجب صرفه عنه إلى معنى آخر يمكن أن يجامعه ولا يتنافى معه، وهو أحد المعاني التي قدمناها.

ومن بعد ذلك لا ترى لهم إلا شبهاً واهية يغبّرون بها في وجه الحق الواضح الصريح، كقولهم مثلاً: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائقةُ الموْت﴾ [الأنبياء:٣٥]، وهذه قضية كلية لا يجوز أن يخص منها عيسى ولا غيره، ونحن نقول لهم: إن الذين قالوا برفع عيسى عليه السلام حيّاً قالوا إنه سينزل، وسيموت حتماً، بل حددت بعض الأحاديث مكان دفنه، فليس في الآية استثناء.

وكقولهم أيضاً: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِك الخُلْدَ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وعيسى بشر كسائر الناس، فلو بقي حيّاً إلى الآن لكان قد خلد، وهذا

منافٍ لصريح تلك الآية.

والجواب: أن الخلد في الآية قد يراد به البقاء بلا موت أصلاً، ولا شك أن الخلد بهذا المعنى منفيّ عن عيسى وغيره، وقد يراد به المكث الطويل، وحينئذ لا يجري في حق عيسى عليه السلام؛ لأن حياته ليست على الأرض، ولا هي خاضعة للسنن والنواميس الكونية في شأن الأحياء، وإنما هي حياة عند الله عز وجل لا يشعر فيها صاحبها بالضرورات الجسدية من طعام أو شراب أو نحوهما. على أن الخلد في كل شيء بحسبه، والخضر الذي كان قبل عيسى عليهما السلام بأكثر من ألفي سنة تقول الصوفية وبعض المحدثين والمتكلمين إنه حي للآن، ولم يقل أحد إن حياته أوجبت له الخلد، بل إنه سيموت حتماً.

ومن شبههم الماكرة التي يحاول شياطينهم أن يلقوها في رُوع العامة: أنهم يقولون لهم: كيف يكون نزوله عليه السلام آية من آيات الساعة ولم يتحدث عنه القرآن مع أنه تحدث عن خروج الدابة، فهل الدابة، أفضل من عيسى؟ ثم هم يُغْفِلُونَ عن عمد كل ما قدمناه من الآيات والأحاديث الصريحة في نزوله عليه السلام.

وبعد، فإني أرى أن كل من يماري في هذا الأمر بعد هذا البيان فإنه مبتدع ضال - إن لم يكن كافراً والعياذ بالله -، فالواجب أن يُهْجَرَ ويُجْتَنَبَ، وليست المسألة مسألة خلاف يعذر فيه المخالف، بل هي مسألة إجماع أجمعت عليه الأمة، وتواترت به النصوص، كما أنها من جنس الأخبار التي لا مجال فيها للرأي والاجتهاد.

نسأله سبحانه أن يثبتنا على عقيدة أهل الحق والجماعة والفرقة المنصورة إلى قيام الساعة، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا إنه وليّ كريم.

محمد خليل هراس

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــــوع	رقم الصفحة

نسألكم صالح الدعاء

مع تحيات

شبكة ضد الأحمدية القاديانية

www.AntiAhmadiyya.net